

A  
h  
m  
e  
d  
  
M  
a  
d  
y

موقع ومنتديات  
مكتبتنا

عبد الوهاب مطاوع

# أماكن في القلب

<http://www.makbtna2211.com>

الدار المصرية اللبنانية



## أماكن فى القلب



\* عبد الوهاب مطاوع 1940-2004  
\* شغل منصب مدير تحرير جريدة  
الأهرام ورئيس تحرير مجلة الشباب.  
\* حصل على جائزة مؤسسة على أمين  
ومصطفى أمين عام 1992 كأحسن  
كاتب صحفى يكتب فى المسائل  
الإنسانية.

\* كان يكتب باب (بريد الجمعة)  
الإنسانى فى الأهرام كل أسبوع  
بانتظام منذ عام 1982، ويشرف على  
باب بريد الأهرام اليومى بصحيفة  
الأهرام.

\* صدر له 52 كتابًا ، يتضمن بعضها  
نماذج مختارة من قصص بريد الجمعة  
الإنسانية وردوده عليها ، ويتضمن  
البعض الآخر قصصًا قصيرة وصورًا  
أدبية ومقالات فى أدب الرحلات.

\* صدرت له مجموعة قصصية  
عديدة، منها: (لاتسنه مكتبة جريير  
فوق البلاط).

S.R.



مكتبة جريير  
JARIR BOOKSTORE

ريال

Thur.

4 Mar. 2010

Riyadh

الدار المصرية اللبنانية



عبد الوهاب مطاوع

# أماكن فى القلب



الدار المصرية اللبنانية



## أنا أول حزن!

كنت أسيرُ في دربِ كساه العُشب  
عندما سمعت فجأةً أحداً يقول:  
هل تعرفني؟

فالتفتُ إليها وقلت: لا أستطيع أن أتذكر اسمك.  
قالت: أنا أول حزن كبير.. في شبابك.  
ثم همست: قلت مرةً إنك سترعى حزنك إلى الأبد.  
فاحمرَّ وجهي وقلت: نعم.. غير أن السنين مضت ونسيت!  
وأخذت يدها في يدي وقلت:.. ولكنك تغيرتِ  
فقالت: ما كان حزنًا مرة.. أصبح الآن سلامًا!  
طاغور في ديوان "الهارب"

.....

... إلى أول "حزنٍ كبيرٍ" في حياة كل إنسانٍ  
أهدي هذا الكتاب احترامًا.. لكل الأحران!

عبد الوهاب مطاوع





قادته المصادفة إلى هذا المقهى الأنيق فانحرف إليه ليريح قدميه من التجوال بين المحلات التجارية. موقع مثالي لمقهى يستريح فيه المشترون أثناء الشراء فلم يعجب لشغل معظم مقاعده بالجالسين وإلى جوارهم أكياس المشتروات.

جاء الجارسون فطلب فنجان القهوة المعتاد.. وراح يتسلى بتأمل الجالسين حوله من رجال ونساء. عادة اكتسبها منذ فترة أن يتجول بين المحلات منفردًا بنفسه، ثم يجلس في أول مقهى يصادفه ليستريح ويشرب فنجان القهوة ثم يواصل التجوال من جديد. المشى علاجه وسلواه وفترات الاستراحة القصيرة في المقاهي فرصته لكي يتأمل الوجوه، ويحاول أن يستشف ما وراءها من شجون وأسرار. تلقت إلى يمينه فتسمّرت عيناه على مشهد تمنى لو كان رساما ليخلده بريشته في لوحة جميلة يرنو إليها كل حين.

1 فإلى مائدة قريبة جلس رجلان يوليانه ظهريهما، وأمامهما جلست سيدة جميلة تألق وجهها جميلاً ساحراً بين كتفي الرجلين.. فتعجب للامحة المتناسقة كأنها نحتها مثال يعبد الجمال.. وتعجب أكثر لشدة تشابهه مع وجه فتاته الوديع.



رشف من فنجانه رشفة جديدة.. فرأى من فوق الفنجان الطفل  
الوليد يبكي.. وأمه تهدده بحنان وصبر وابتسامتها الجميلة لا تفارق  
وجهها، فتمنى لو حمل عنها طفلها لتفرغ هي للعناية بنفسها.

مثلها كانت جميلة ووديدة.. ومثلها كانت تفيض حنانًا على كل من  
حولها، ومثلهم كان يخرج معها إلى المحلات التجارية يطوفان بها.. ثم  
يدعوها للاستراحة في أول مقهى يصادفهما. فتلبى الدعوة مبتهجة.

كانت تحب التجوال بين المحلات التجارية.. ولا تطيق شراء شيء  
إلا إذا كان معها وسألته عن رأيه فيه وفي قيمته، باعتباره محاسبًا  
ناجحًا موعودًا بالنجاح! وعنها اكتسب هذه العادة وعرف الطريق  
إلى مقاهي الأسواق. رآها للمرة الأولى في حفل قران شقيقه فلفت  
نظره بجمالها وهدوئها وروحها الطيبة. سأل عنها شقيقته، فعرف أنها  
إحدى قريبات عروس شقيقه وتعيش وحيدة مع أمها وتعمل مدرسة.  
تأملها طوال الحفل فلاحظ معاملتها للجميع برقة واحترام، وبات  
ليلته مشغولاً بها. باحتراس سأل عنها عروس شقيقه، وطلب منها أن  
تجس نبضها تجاهه، فجاءت النتيجة مُبَشِّرَة. بعد شهرين من الخطبة  
اعترفت له بأنها علمت بسؤاله عنها في حفل القران، وتمنته لنفسها،  
وترقبت الخطوة التالية من جانبه بقلق شديد.. غمرته بعدها بشلال  
من الحب الدافق، وحوّلت أيامه إلى حلم جميل. حبيتي نهر من الحب



كان يبحث عن مصب له.. ووجدته فاستقام مجراه وترقرقت مياهه صافية. عذوبة الروح أبرز مزاياها.. أما وجهها فنبع من الجمال الوديع لا تمل العين الارتواء منه. قالت له قبل الزواج:

انتظرتك كل سنوات عمري فلا تفارقني بعد أن عثرت عليك..  
فأجابها دامعاً:

وكيف يفارق الجسم روحه حتى لو أراد ذلك؟

تزوجا بعد عامين من الخطبة، تلازما خلالهما كل يوم بعد انتهاء العمل حتى المساء، واشتريا مستلزمات عشمها الصغير معا ورقة.. ورقة وتعاوننا في كل شيء بسماحة، فلم يمض أسبوع دون أن يطوفا بالمحلات أكثر من مرة، حتى ملابسهما اشترتها معه قطعة بعد قطعة واسترشدت برأيه فيها، وكلما كَلَّتْ أقدامهما التجوال تلمَّسا أول مقهى يصادفانه وجلسا فيه يتهاامسان ويتناجيان. جلسا في كل مقهى وسط المدينة، لكنه لم يكتشف هذا المقهى الأنيق إلا اليوم، فكأنما كان على موعد مع وجه هذه السيدة الجميلة التي تهز ذراعيها بحنان لتهدد طفلها.. ترى مَنْ من هذين الرجلين زوجها؟ أيا كان زوجها فليسعدُ بها كما سعد هو بشريكة حياته حين ضمَّهما عشمها الصغير، ففي رحابة مضت الأيام سعيدة هادئة.. وتبدت له بعد الزواج مزاياها الحقيقية، فازداد افتئانا بها، واكتشف أنها من هذا النوع الفريد من



البشر الذى يصعب عليك أن تختلف معه.. وإذا اختلفت تعذر عليك أن تتحدى فى الخلاف معه.. وإذا تماديت عجزت عن أن تضيق به أو تكرهه! أما عذوبة روحها فلقد اجتذبت إليها قلوب كل من تعاملت معهم من الأهل والجيران وأصحاب المحلات القريبة من المسكن. أما سر جاذبيتها فلقد عرفه منذ ارتبط بها فلمس فيها حباً صادقاً لكل الناس وعطفاً عليهم، واستعداداً مخلصاً للعطاء لكل من يحتاج إليها، فقال لنفسه: حبيبتى عطفٌ ورحمة فلتسعد بحياتها كيفما تحياها.

عامان مضيا كلمح البصر من عمر زواجهما.. فلم يشك خلالها من شيء، ولكن فتاته ساورها القلق بسبب تأخر الإنجاب.. فتكدّرت بعض أوقاتها.

وإرضاء لها أجرى تحاليله فلم يكشف عن شيء فيه.. وتنقل معها بين عيادات الأطباء، وراقبها بإشفاق وهى تتجرع الأدوية وتلتزم بالعلاج، وأطاعها راضياً فيما يخصه من تعليمات داعياً ربّه أن يحقق لها أمنياتها لكى تهدأ خواطرها.. أما هو فسيان عنده أنجبت الملائكة أم لم تتجب. ولم تياس من حلم الحمل لحظة، وأحست بمرارة الخذلان مرتين فتعرضت للإجهاض المبكر وبكت طويلاً.. وساءت صحتها حتى توسل إليها ألا تعرض



نفسها للخطر مرة أخرى، ثم لاحت البشائر واعدة بتحقيق الأمانى في المرة الثالثة فاستقر الحمل.. وتكور بطنها بحمل وسعدت به سعادة طاغية، فدعا لها من قلبه بالسلامة في كل الأحوال.

ومضت معظم شهور الحمل وهى شبه راقدة دومًا على ظهرها.. وأمها وصديقاتها وجاراتها يتناوبن خدمتها بحماس.. وهى توزع شكرها وعرفانها بسخاء.. وبعد عودته من العمل، يخلص لخدمتها وحده ويتفرغ لرعايتها، فيتلقى شكرها بالاسم كل لحظة ويسمع وعدها المتكرر له بأن ترد له الجميل بعد الولادة.. وأن تنذر نفسها لخدمته طوال العمر!

وبلغت شهرها الثامن وهى تزداد جمالاً وشفافية، وجاءت أمها فى الصباح ذات يوم لتبدأ نوبتها فى الرعاية، فقبل زوجته وتلقى رجاءها التقليدى بألا تطول غيبته عنها، ثم خرج إلى العمل، فوجىء بمديره يكلفه بالسفر فوراً إلى فرع الهيئة بالإسماعيلية لمراجعة حساباته والعودة إليه بتقرير عاجل عنها فى المساء. حاول الاعتذار بأن حالة زوجته الصحية تستدعى وجوده بالقرب منها، لكن مديره أكد له أن المهمة لن تستغرق سوى ساعات. فتوجه إلى مهمته وعاد إلى مقر الهيئة فى المساء فاستقبله المدير واجماً واستلم تقريره بغير تعليق، ثم طلب منه باقتضاب أن يتوجه إلى المستشفى لأن زوجته قد فاجأها الوضع خلال غيابها!



وهروول إلى المستشفى منزعجًا.. وصعد درجات السلم إلى غرفة الولادة مهرولاً فصدم بمرأى أم زوجته وصديقاتها وزوجة شقيقه يبيكين في حرقه. ساعات ثقيلة مضت قبل أن يستوعب الحقيقة القاسية ويعى أن زوجته الجميلة قد ماتت وهي تضع حملها، ويصدق أنها قد رحلت تاركة له طفلة غير مكتملة النمو.. وأن الطفلة قد حجزت في الحضّانة للاعتناء بها. وأيام أثقل مضت قبل أن يميز الأشياء.. ويستعيد بعض قدرته على التركيز فيجيب سائله عن الاسم الذي يختاره لطفلته.. بأنه يسميها "عتاب"، كأنها يعاتب به الدنيا التي حرمتها وحرمتها من أمها الحبيبة، وحتى هذا العزاء لم يدم طويلاً؛ فلقد تدهورت صحة الصغيرة سريعاً، وفشلت محاولات إنقاذها ولحقت بأمها الجميلة في الساء.

لو عاشت طفلته لبلغت عمر هذا الوليد الذي تحمله أمه التي يرى وجهها الوديع الآن من بين كتفى هذين الرجلين.. ولو طالت حياة أمها حملتها على ذراعيها، كما تحمل هذه السيدة طفلها وجلست في مواجهته باسمه تهز ذراعها من حين لآخر وهي تتحدث إليه، لكن الأحلام القصيرة لا تطول، ولم يبق من عقب ذكراها سوى أنفاس شريكة العمر التي يسمعها تتردد إلى جواره وفي فراشه كل ليلة وهو يحاول النوم بلا جدوى، وسوى رائحتها الجميلة التي يشمها ويتنسّمها في كل شبر من العش الخالي.





وبعد أن فشلت المهدئات المختلفة في مساعدته على اقتناص بضع ساعات من النوم معظم ليالى الشهور الماضية، نصحه طبيبه بأن يمشى على قدميه كل مساء لأطول فترة ممكنة لينهك جسده غاية الإنهاك. ويعود إلى بيته فى الليل فينام كالقتيل.. وتحير فى البداية أين يمشى، ثم قادته قدماه بغير إرادة إلى نفس المحلات التجارية التى كانا يتجولان فيها معاً، فراح يتنقل بينها ويتشغل بمشاهدة معروضاتها بذهن غائب، وكلما غلبه الإرهاق استراح قليلاً فى أول مقهى يصادفه.. واحتسى القهوة وأشعل سيجارته، وبحث عيناه دائماً عن أسرة صغيرة من زوج شاب وزوجة جميلة وطفل صغير ليجلس بالقرب منها ويتأملها ويتسمع حديثها داعياً لها بقلبه بالسعادة واجتماع الشمل حتى نهاية العمر. وأسرف فى المشى واحتساء القهوة والتدخين، حتى أنذره الطبيب بأن صحته تسوء بدلاً من أن تتحسن، ونصحه بالامتناع عن التدخين والاعتدال فى شرب القهوة.. لكن أنى للقلب الحزين أن يستجيب لنصائح العقل المجردة؟

... وأفاق من أفكاره على صوت حركة صادر من مائدة الأسرة التى يرقبها ورأى الزوجة الجميلة تنهض استعداداً لمغادرة المقهى، وسمعها تعتذر شاكرة لأحد الرجلين الذى حاول أن يحمل عنها طفلها، ثم تحتضن الطفل وتسير فى المقدمة فحزم أمره سريعاً، وقرر أن يتابع الأسرة السعيدة لبعض الوقت لعله يزداد ارتواء من وجهها



الجميل الذى أعاد الحياة إلى وجه زوجته.. فكأنما استعارته منها بعد  
الرحيل لتواصل به إمتاع العيون!

.. استدعى الجارسون بإشارة متعجلة.. ومدَّ يده إلى جيبه ليخرج  
النقود، فإذا بأسرة أخرى وزوجة وطفل صغير تدخل المقهى من  
اليسار وتتجه إلى مائدة أخرى قريبة.. فتأمل وجه الزوجة الجديدة  
ذاهلاً لشبهه الغريب بوجه زوجته.. وراقبها باهتمام شديد وهى تضع  
طفلها على المائدة ريثما تصلح له ملابسه ثم تحمله مرة أخرى على  
صدرها.. فتراخت يده عن النقود فى جيبه وثبتت عيناه على الوجه  
الحنون.. وتراخى جسمه فى مقعده.. وهو يقول للجارسون الواقف  
أمامه منتظراً الحساب:

فنجان قهوة آخر.. من فضلك!



قالت له وهو يستعد لمغادرة الشقة في الصباح:

لا تنس أن تذهب إلى عملي وتقدم لي طلب الأجازة العارضة.

فأكد لها بهزة من رأسه أنه يذكر الأمر ولن ينساه، ثم حمل حقيبته الصغيرة ولمس خدها بيده لمسة خفيفة وغادر الشقة.

راقبته وهو يغلق الباب ويختفي وراءه، ثم استدرات لتبدأ مهمتها التي تغيبت عن عملها اليوم من أجلها، فرأت لفافة الساندوتش الذي أعدته له منسية على مائدة الطعام بجوار كوب الشاي الفارغ، فأسرعت بها إلى النافذة وانتظرت حتى رآته يخرج من باب البيت القديم وصاحت به:

كمال!

فرفع رأسه إليها متسائلاً:

2 فألقت إليه اللفافة في كيسها المصنوع من البلاستيك في حذر، فتلقاها بين يديه باسماء.. ولوّح لها شاكرًا ولوّحت له باسماء.. ثم دخلت إلى غرفة نومها فبدلت قميص النوم بفستان قديم شبه ممزق.. ستقوم بتنفيذ الشقة القديمة كلها ثم كنسها.. ومسح بلاطها الكاوي.. وستغسل ملابس الأسرة





الصغيرة كلها وحين تنتهى من كل ذلك ستبدأ فى إعداد طعام العشاء.

وتوثبت لأداء مهمتها بحماس، فرفعت السجاجيد المتهالكة وكومتها فوق مائدة الطعام، ووضعت أكوام الغسيل فى الغسالة.. ثم أدارت الراديو.. وحملت المكنسة وبدأت مهمتها بحماس..

وسط تراب الأرضية.. انبعث صوت عبد الحليم العذب يغنى أغنيته القديمة المحبوبة: أنا لك على طول.. خليك ليا.. فرقت لها مشاعرها.. وترطب بها وجدانها. لكن هل كانت تتصور أن تسفر الأحلام الوردية عن هذا الواقع الجاف؟

لقد عرفته وهما طالبان بالسنة الثالثة بالكلية، لفت نظرهما بأدبه وأمانة تصرفاته ورجولته، واهتمامه بأمرها. فتلقت رسائل نظراته الصامته بترحيب، وفى الوقت المناسب تجرأ على مفاتحتها بحبه، فوجد أرضها مهياة وملبية لنداء الحب، تعاهدا على أن يتشاركا رحلة الحياة، ويكون كل منهما للآخر حتى النهاية. وبعد تخرجهما بأسابيع طلبت منه أن يتقدم لخطبتها، ليعفيها من معاناتها مع أمها التى تلح عليها بقبول خطبة شاب من أقاربها يعمل تاجرًا ومستعد بإمكانات الزواج، بقوة الحب والخوف عليه من الضياع فاتح أباه الموظف السابق على المعاش، الذى يعيش معه وحيدًا بعد رحيل



الأم وزواج الشقيقتين، وطلب منه مساندته في الدفاع عن حبه. خلقت الوحدة التي جمعت بينهما صداقة عميقة. أعانت الأب على فهم مشاعر ابنه فقبل أن يتقدم لوالد فتاته رغم التحفظات. شاب بلا عمل.. وبلا مسكن مستقل.. ولا مال موروث ولا أمل في تحسين أحواله خلال وقت قصير.. فكيف يتقدم باسمه طالبا يد فتاته. لكن نداء القلب طاغ.. وعاطفة الأب لا ترضى له بالخذلان، فصحب ابنه إلى بيت أبيها المدير العام، وصارحه بكل الظروف وتحمل الحرج وهو يجيب عن أسئلة الأب المتتالية بلا.. لا عمل الآن لكنه سيعمل قريبًا كما يعمل الشباب في مثل سنه.. لا شقة مستقلة لكن شقتنا واسعة وأنا رجل وحيد ولن يضيقا بوجودي في غرفتي.. وإذا ضاقت بي فسوف أوزع إقامتي بين شقتيها.. وبين بيت الأسرة القديم في بلدتي حيث تعيش شقيقتي الكبرى، لا مال لدينا لكننا أسرة طيبة من أصل طيب والناس بأخلاقهم ودينهم وليس بمالهم. ولم يرفضه والد فتاته لكن أمها كانت قاسية ولم ترحم شيخوخته وضعفه، وانهالت عليه بالأسئلة المخرجة، وتلقت إجاباته عنها بسخرية مقنعة لم يفتن لها الأب الشيخ وإنما تأذى منها فتاها.. وخرج الاثنان من بيتها مهزومين.. لكن الفتاة لم تسكت على الهزيمة.. وتصدت لأمها بحزم، صرخت في وجهها: ترفضين قريبك الثرى.. لتزوجي من "شحاذا" لا يملك شيئًا بدعوى الحب،



إن الحب سيقفز من النافذة بعد شهور من الزواج حين تحاصر كما الديون.. وتعانين من التقشف والحرمان. لكن الفتاة لم تتنازل عن حبها، وشجعت فتاها على أن يمضى في طريقه، وسعدت بكل خطوة حققها على طريق الحلم السعيد. عمل بوظيفة حكومية وعملت بعده بشهور. تنقل بين الأعمال الإضافية بعد الظهر حتى كان يعمل في بعض الأوقات من الصباح حتى منتصف الليل ولا يراها إلا يوم الجمعة. وكلما تجمع في يده مبلغ صغير ادخره معها. أعطاه أبوه كل ما تبقى معه من مدخرات قليلة.. وأقرضته شقيقتها كل مدخراتها.. مع منحة صغيرة..

وبما يشبه المعجزة استطاع أن يسد على أم فتاته كل الأبواب، ويقدم لفتاته الشبكة والمهر.. ويجدد الشقة.. ولم يبق إلا تحديد موعد الزفاف.. ولا شيء يرضى الأم أو يخفف من امتعاضها، فحتى صباح يوم عقد القران حاولت أن تغرى ابنتها بالتراجع، ولوحت لها بما سيقدمه لها قريبها من حياة مريحة ومسكن لائق.. فأصمَّت الفتاة أذنيها عن فحيح أمها، وتزوجا، وأخلى لهما الأب العجوز الشقة وسافر إلى بلدته لمدة أسابيع، ولم يعد حتى ذهبت إليه هي مع زوجها المحبوب يدعوانه للعودة إلى بيته. ونعما بالحب والسعادة رغم جفاف الحياة، وبعد زواجهما بعام رحل الأب عن الحياة فبكته الزوجة الشابة كثيراً.. وذكرت له رفقه بها وعطفه عليها.



وأنجبا طفلهما الوحيد فزادت أعباء الحياة.. وتكاثرت سحب  
الهموم في السماء الصافية مع استمرارهما في سداد ديون الزواج، فحتى  
الشغالة غير المنتظمة التي كانت تقوم بتنظيف البيت مرة كل أسبوع لم  
تقوَ على الاستمرار في دفع أجرها.. وفضلت أن توفره لمطالب الطفل  
الوليد والحياة. وكلما استعدت لمعركة النظافة أودعت طفلها لبيت  
ليلته لدى أمها، وتحملت سهام كلماتها الناقدة بصبر واحتمال، وفي  
بداية كل شهر تجلس إلى مائدة الطعام.. وتضع مرتبها على مرتب  
زوجها من عمله الصباحي والمساء.. ثم تفتح كراسة البيت وتغرق  
في حسابات معقدة باذلة المستحيل لكي تفي نقودهما بالمطالب  
الضرورية وأقساط الديون. وتقسم النقود إلى أكوام صغيرة.. ثم تعيد  
تقسيمها. وتعيد حساباتها.. ويبقى دائماً مطلب ضروري لا سبيل إلى  
الوفاء به!

ويحاول زوجها التخفيف عنها بالتنازل عن أى مطلب شخصي  
له.. ويلح عليها، ألا تهمل مطالبها الشخصية.. فلا تسمع لرجائه..  
وتقود سفينة حياتها بحكمة قبطان لا يسمح لمشاعره بالتأثير على  
قراراته!

وكلما اصطدما بمطلب طارئ.. كمرض مفاجئ للطفل أو لها..  
لجأ إلى شقيقتيه يقترض منهما. ولجأت هي إلى أبيها تطلب مساعدته  
فيساعدها سرّاً بغير أن تعلم أمها.



انتهت من كنس الشقة فحملت جردل الماء من الحمام وألقته على الأرض.. فساح الماء فيها.. وبهمة غريبة انحنت تمسح الأرض وتحاول جلاء بلاطها الكاوي بفرشاة خشنة. لو رأتها أمها في هذا الفستان الممزق لقاتلها بلهجتها الساخرة:

سلامات يا حب!

ولو رآها مديرها المتصابي الذي حاول المستحيل معها لإغرائها بالطلاق من زوجها ملوحا لها بالشقة الفاخرة في الحي الراقى.. والسيارة.. وشقة المصيف، لثمت فيها.. لكن هيهات أن تسعد النفس بالأشياء إذا لم تسعد أصلا بالإنسان، فحتى خلافاتها مع زوجها المحبوب خلافات حب تأنس بها حين تستعيد لها في ذاكرتها.. غضب منها حين صرفت الشغالة وقامت هي بعملها واتهمها بأنها تشعره بالذنب تجاهها وخاصمها يوما طويلاً إذا لم ترجع عن قرارها. فلم تدعه حتى بات ليلته راضياً ومتنازلاً عن معارضته.. ويغضب منها حين ترفض الذهاب معه إلى الطبيب ليعالج آلام ظهرها مفضلة توفير أجره.. ومكتفية بالمسكنات، ويتهمها بأنها تطعنه في رجولته وإحساسه بالمسئولية عنها. ويخاصمها أو تخاصمه.. ثم لا تمضي ساعات حتى يتصافيا وقد تستجيب لإلحاحه راضية. وغضبت هي أيضاً منه أكثر من مرة حين يضيق أحياناً بكلمات أمها المهينة له، ويعلن



العصيان ويرفض الاستجابة لدعوتها بتناول الغداء مع أسرتها يوم الجمعة. فيظل بها حتى ترضى.. وقد يذهب معها كارها، ويتحمل ملاحظات أمها على فستان ابنتها الذي لم يتغير منذ شهور.. أو مقارناتها الجارحة بين حياتها وحياة فلانة ابنة شقيقتها التي لا يقدم لها زوجها في المناسبات إلا الهدايا الذهبية.. ويستأجر لها شقة في المصيف، ويقضي معها أجازة نصف السنة في أسوان، ويشارك في نادٍ راقٍ تذهب إليه كل صباح.. ويعطيها مصروفًا شخصيًا سخيا لا يسألها كيف تنفقه.

فيمضي الزيادة مكتئبًا.. ويعود معها إلى البيت ساهمًا.. ولا تفلح محاولاتها للتسرية عنه.. وقد ينفجر في وجهها ويعرض عليها الطلاق لتعيش الحياة التي ترضى عنها أمها.. ويتعكر صفو الحياة يومين أو ثلاثة.. ثم تمضي سفينة الحب في اتجاهها متحدية الأمواج الطارئة ويتواصل الصفاء.

أما أزمتهما الحقيقية فقد وقعت بعد خمس سنوات من الزواج حين طلب منها أن تستقيل من عملها، وتتفرغ له ولطفلهما حتى تستريح أمها وتكف عن اتهامها له بأنه يسلبها مرتبها، فلا يبقى لها منه ما تستطيع أن تشتري به حتى حذاء جديدًا، تجهمت السماء تلك المرة بسحب ثقيلة لم يفلح نسيم الحب في تبديدها، وتمسك بموقفه





وتمسكت بالرفض... وهددها.. فقبلت التحدي وهددته، وعاد إلى الشقة في المساء فوجد الظلام يخيم عليها والشقة خالية من حبيبة القلب وطفلها الجميل فعرف أن طائر الخلاف قد حلق بعيداً في أجوائهما، ورفض أن يذهب إلى بيت أسرتها ليعيدها إلى عشهما.. وبات ليلته حزيناً مكتئباً. وغاب طائر الحب عن بيته أياماً متوالية.. تدخلت بينهما شقيقته الكبرى وناصرت زوجته في موقفها، وأكدت له أن فتاته أكثر واقعية منه وترى أن عملها لصالح أسرتها وطفلها.

ومن حق الطفل عليهما أن يتنازل عن كبريائه واعتباراته الشخصية لصالحه، لكنه رفض رغم اقتناعه الداخلي بإخلاص دوافعها أن يذهب إلى بيت أسرتها لاسترضائها. تواصلت الوساطات بينهما وأعلنت الزوجة المحبة أنها على استعداد لأن تحصل من عملها على أجازة دون مرتب، وتتفرغ لبيتها لعام أو عامين لإرضاء زوجها، ورغم أن جفاف حياتها سيزداد قسوة، وصرخت أمها فيها محذرة.. وطالبت بإصرار بأن يتنازل زوجها عن مطلبه الخاص بالعمل نهائياً، وأن يأتي راضحاً لاستعادة زوجته، وإلا فليطلقها ويدعها لمستقبل أفضل مع غيره.. وتمادت في جبروتها فحددت له مهلة أسبوعين.. إن لم يأت لاسترضاء زوجته فسوف ترغمها على طلب الطلاق منه بالمحكمة!

مضت أيام المهلة ثقيلة حتى كادت تنفذ.. وهى تنتظر أن يأتى إليها زوجها المحبوب.. وأمها نشوى بإحساس الانتصار وتؤكد لها كل يوم أنه لم يكن يستحقها.. وأنه لن يأتى لاستعادتها.

وراجع هو نفسه طويلاً.. ثم قرر أن ينقذ الحب من الغرق فى بحر العناد والكبرياء، فخرج من عمله المسائى إلى بيت شقيقته، وطلب منها أن تذهب غداً إلى بيت أسرة زوجته، وتعلنهم بأنه سيجىء لاسترداد زوجته وطفله على شرط واحد هو ألا تثير معه أمها الموضوع الجارح وأن تكف عنه لسانها ووعدته شقيقته بأن تفعل. وخرج من بيتها عائداً إلى مسكنه الخالى.. فأدار المفتاح فى الباب ودخل مكتئباً فإذا بصيص من النور فى الردهة الصغيرة، تعجب حين رآه وتأكد من أنه قد نسيه مضاء عند خروجه فى الصباح.. وأضاء نور الصالة فرأى أطباقاً مغطاة على المائدة.. رفعها فوجد طعام العشاء الذى اعتاد أن يجده فى موضعه فى الأيام السعيدة، فانتفض قلبه فرحاً وجرى إلى غرفة النوم فوجد زوجته الحبيبة ترقد فى سلام وإلى جوارها طفلها السعيد! فلم يتمالك نفسه وانحنى على جبهتها يقبلها بحنان واستيقظت فنظرت إليه عابئة.. ونظر إليها ممتناً وقال لها:

لماذا لم تنتظرينى للغد.. لقد رتبت مع أختى أن آتى إليك غداً.

فأجابته يasmine:



إننى أحسن منك وقلبي أرق من قلبك الحجري!

فحنى رأسه معترفاً ومسلماً وقبّل يدها شاكرًا.

لم تتكرر المحنة في حياتهما مرة أخرى.. وتعلما منها ألا تتعدى خلافاتهما العابرة حدود شقتيهما.. وتنازل عن مطلبه باستقالتهما من عملها، وسعد بها وتحمل من أجلها سهام أمها الجارحة، وأصبحت لحظة العشاء التى تجمعهما فى الليل.. هى واحتما التى تذوب فيها كل المتاعب والمعاناة.. واعتاد أن يسألها من حين لآخر:

ألم تندمى على زواجك من زوج مكافح مثلى؟

فتجيبه باسمه:

لا يندم على الحب إلا جاحد لا يستحقه!

وتواصلت الحياة بينهما رضىة يسعدان بكل إنجاز صغير يحققانه فيها على طريق تخفيف الجفاف والمعاناة..

وانتهت من مهمتها المرهقة الأخيرة ولمعت الشقة القديمة ببريق النظافة والدوق الجميل. فدخلت إلى الحمام واغتسلت.. وبدلت فستانها الممزق بينطلون الجينز الذى تحتفظ به من أيام الجامعة وبلوزة برتقالية جميلة. وتأملت وجهها فى المرآة قليلاً وسرحت شعرها.. ثم نهضت إلى الثلاجة فأخرجت الطعام ورصّت الأطباق على مائدة السفرة.





فسمعت صرير المفتاح في الباب.. ودخل زوجها يمسك بيده طفله الذي مر بيت أسرتها ليعيده.. فأسرع إليها الطفل متهللاً وحملته هي - وقبلته - وأعطت خدها لزوجها ليقبله قبلة العودة التقليدية وجلس الثلاثة إلى مائدة الطعام مبتهجين.. وزوجها يتلفت حوله معجباً بروثق الشقة ونظافتها ويروى لها ما صادفه في يومه.. وهي تسمع باسمه وسعيدة ثم قطعت الحديث بسؤال طرأ لها..

لم تقل لي هل انتهت زيارتك لماما بسلام وبغير "تحية" جديدة؟  
فأجابها ضاحكاً:

وهل هذا معقول.. لقد أسمعني بالطبع كلمة على الماشي عن حظ ابنة خالتك التي لديها شغالة تعطيها 300 جنيه في الشهر.. في حين تتمرط بنات الناس الأخريات في مسح البلاط مع الأزواج "الفقرين"

وضحكت عالياً.. وشاركها الضحك بلا ضغينة ثم قالت له:

وماذا قلت لها؟

وأجابها:

قلت لها سعيدة يا حماتي.

ثم أمسكت بيد ابني وخرجت وصوت مصمصة شفاهها يلاحقني على السلم، وانفجر الاثنان في الضحك.. وشاركهما طفلها الصغير ضحكهما بسعادة وبغير أن يفهم دواعيه أو أسبابه!



وجد نفسه طفلاً وحيداً بين أبوين هادئى الطبع يدللانه ويرفقان به فأحبهما كثيراً.. وحملت ذاكرته الطفولية لهما دائماً أجمل الذكريات.

وكانت أمه رقيقة كالخيال، ابتهامتها حزينه وتحب الأغاني العاطفية وتدمع عيناها مع صوت عبد الحليم حافظ، فيسألها حزيناً عما يبكيها فتمسح دمعها بأصابعها.. وتقبله.. وتداعبه فينسى حزنه العابر، وعلى عكس أمهات أصدقائه من أطفال العمارة والأقارب لم تكن تضربه ولا تخرج من بيتها كثيراً، فإذا حان موعد الخروج ارتدت ملابسها، ووقفت أمام المرأة تنظر إلى وجهها ساهمة فيكي طالباً الخروج معها.. لكنها تلاففه وتعتذر له بأنها ذاهبة مع أبيه إلى الطبيب وتعطيه قطع الحلوى وتصطحبه إلى شقة جيرانها ليلعب مع طفلها، وهى تعدّه بالألا تتأخر عنه كثيراً ولا تنصرف إلا بعد أن يرضى.. ويبتسم ويعدّها بالألا يزعب جارتها خلال غيابها، ثم تضع يدها في ذراع أبيه ويخرجان، ولا تطول غيبتهما كثيراً فبعد ساعتين يعودان وفي أيديهما لفافة كبيرة من الدواء.. وقطعة شيكولاتة له فيستعيدانه من شقة الجيران شاكرين، ويرقبها وهى تتجرع الدواء متقززة، فيرق قلبه لها ويسألها عما بها..



فتشغله بالحديث عما يسأل عنه، أما وجهها الجميل فظلما أحبه وداعب شامته الصغيرة الجميلة في ذقنها، وحاول كثيراً أن ينزعها من مكانها بلا جدوى.

وبعد شهرين من التحاقه بمدرسة الحضانة للمرة الأولى، عاد إلى بيته ذات يوم فوجد عمته في البيت ولم يجد أمه، وعرف أنها ستغيب أياماً في المستشفى لمرض طارئ، فتحرّق شوقاً لأن يزورها فيه، لكن أباه رفض بإصرار، وحاولت عمته الشابة أن تعوضه غياب أمه، لكن هيهات أن يحلّ شخص آخر في موضع الأم الغائبة من قلبه. وطال غياب أمه. ولاحظ بقلق أن أباه يزداد وجوماً وانشغالا عنه يوماً بعد يوم، ورأى عمته تتحدث مع أبيه حديثاً هامساً طويلاً وهما يختلسان النظر إليه.. ثم شاهد عمته تبكي، فانقبض صدره وأحس بحزن غامض كئيب، وبعد أيام ازدحمت الشقة فجأة بالعمات والخالات.. وخيم الحزن والبكاء على المكان.

وجاء خاله الشاب يدعوه للذهاب معه إلى بيت جدته، فرحب بالعودة أملاً في أن يجد أمه عندها، فلم يجدها هناك.. ووجد جو البيت هناك أكثر قتامة وحزناً، وبعد أيام أعاده أبوه إلى البيت، فأحس حين دخله كأن الكآبة قد استقرت فيه ولن تغادره بعد ذلك أبداً.. وسأله عن أمه، فأجابه الأب حزيناً بأنها قد سافرت وسوف يطول سفرها إلى وقت غير معلوم.. ورأى العطف في عيون أبيه وخالاته، فأدرك بقلب





الطفل أن أمه ربما تكون قد سافرت إلى الرحلة التي لا يعود منها أحد، وحاول أن يتلَهَّى عن كآبة البيت بالعباء والاستجابة لمداغبات الأهل والأصدقاء، لكن شيئًا ما كان يشعره دائمًا بأن أيام السعادة الجميلة قد ولَّت ولن تعود، وبعد أسابيع من "سفر" أمه، عادت عمته الشابة إلى بيتها.. وخلا البيت عليه مع أبيه، وأصبح ينام في حضن أبيه، ويوقظه في الصباح ويساعده في ارتداء ملابسه، ويصنع له إفطاره ثم يسلمه إلى أتوبيس المدرسة، كما كانت تفعل أمه الجميلة في أيام الصفاء، ولغير سبب واضح في ذهنه استسلم فجأة وهو يرتدى ملابسه في الصباح بمعاونة أبيه، لنوبة طاغية من البكاء فبكى طويلاً وانهمرت دموعه بغزارة شديدة، وسأله أبوه عما يبكيه فلم يجر جواباً ولم يعرف هو نفسه لماذا يبكي، وحين انتهى من بكائه، ربّت أبوه على رأسه بعطف وغسل له وجهه ثم أكمل ارتداءه ملابسه، ولم يدعه أبوه يركب الأتوبيس في ذلك اليوم، وإنما اصطحبه في سيارة أجرة إلى المدرسة واشترى له كمية كبيرة من الحلوى في الطريق.. ثم تركه في فناء المدرسة ودخل إلى مبنى إدارتها، وبعد قليل خرج وانصرف وهو يداعبه، ويطالبه بأن يستمتع بالحلوى واللعب في الفناء.

وبعد قليل من انصرافه، جاءته "الدادة" وأبلغته أن السيدة الناضرة تطلبه.. ومضى معها خائفاً.. ففوجيء بالناظرة التي لا يراها الأطفال في الفناء إلا متجهمة ومحدرة من الخروج على النظام أو المشاغبة،



تستقبله بابتسامة عريضة، ثم تقربه منها وتسأله عن اسمه وقصده بحنان ذكره بحنان الأم الغائبة.. ثم تقول له إنها سمعت من المدرسات عن اجتهاده وحسن أخلاقه، فرأت أن تطلبه لتراه وتشجعه على الاستمرار في تفوقه وتهذيبه، ثم فتحت درج مكتبها وأخرجت منه قطعة شيكولاته وأعطتها له.. وأذنت له بالانصراف باسمه فخرج ذاهلاً.. وراحياً في نفس الوقت.

وتكررت نوبات البكاء الصباحية بعد ذلك كثيراً، فهاجمته من حين لآخر دون مقدمات فيستسلم لها لفترة طويلة، حتى أصبح أبوه يخشاها ويترقبها بخوف، وينقبض صدره حين تأتي وبعد كل نوبة مماثلة يسأله بعطف:

ماذا يبكيك؟

فيجيبه حائراً:

لا أعرف!

ويصدقه أبوه مكتئباً، لأنه لا يعرف حقاً سبباً مباشراً للبكاء، لكن الحزن الغامض المستقر في القلب الصغير لافتقاده ملاكه الحارس.. يبحث دائماً عن ثغرة جديدة ليعبر عن نفسه، فيطل منها بهذه النوبات الطويلة وتساءل الأب حائراً.. هل يعرض ابنه الصغير على طبيب نفسي فأجابه أخوته مؤكدين أن الزمن هو أكبر طبيب، وكفَّ

الصغير بالفعل عن السؤال عن موعد عودة أمه من سفرها بعد شهور من غيابها، واستقرت الحقيقة الكثيرة بشكل غامض في وجدانه.. فبدأ يعتاد خلو حياته من صوت الأم الرقيق وابتسامتها الحزينة.

وعاد أبوه بعد قليل إلى نظام حياته السابق، فبدأت ساعات وحدته تطول في المساء، فقد بدأ أبوه يخرج من البيت بعد نوم الظهيرة، فيغلق باب المطبخ بالمفتاح حتى يأمن عليه من خطر الغاز، ويحذره من الاقتراب من أكباس الكهرباء.. ويضع له على المائدة طعامه وشرابه، ويوصيه بأن يلعب بألعابه في هدوء حتى يرجع، وهو يعدّه بفسحة جميلة في نهاية الأسبوع إذا نفذ بدقة كل التعليمات، ثم يخرج فلا يطول الوقت حتى يرن جرس التليفون، ويجد أباه يسأله عما يفعل.. وهل واجه أية مشكلة، فيطمئنه ويعود لألعابه ويتكرر الاتصال أكثر من مرة.. ويتلقى الطفل الصغير أكثر من مكالمة من إحدى خالاته أو عماته.

ومضى عام طويل اعتاد فيه وحدته وكثرة انتقاله بين بيوت جدته والخالات والعمات لقضاء بضعة أيام في كل منها، وحتى أمضى معظم أيام السنة ضيفاً على بيوت الآخرين، وافتقد الإحساس الذي كان يحسه وهو في غرفته يلعب وحيداً، وأمّه في الجوار تتحرك وتقوم بأعمال البيت وتناديه من حين لآخر لتعطيه كبد الدجاجة.. أو قطعة حلوى.. أو زجاجة مياه غازية.





ودعته جدته لأبيه ذات مرة للإقامة في بيتها يومين، فلبى الدعوة سعيداً، وجمع له أبوه معظم ملابسه في حقيبة كبيرة، وحملها معه وهو يصطحبه إلى بيت الجدة.. وأمضى يومين في بيتها واستأذنها بعدها في العودة لبيته وحجرته وألعابه، لكنها استمهلهتة يومين آخرين لأنها لم "تشبع" بعد من صحبته فاستجاب لرجائها راضياً..

وانتظر أن يحضر أبوه لاستعادته بعد اليومين الإضافيين فلم يحضر.. وتساءل عن أبيه خشية أن يكون قد "سافر" هو أيضاً وتركه وحيداً في بيت جدته، لكن الجدة طمأنته إلى أنه مشغول بأشياء هامة وسيحضر لاستعادته بعد أسبوع آخر، وانتظر في قلق مجيء أبيه، فطال انتظاره أسبوعين آخرين فقد خلالهما كل صبره، ولم يكف عن السؤال لحظة عن أبيه، وعادته نوبة البكاء الصباحية فجأة بعد أن كانت قد نسيته منذ شهور، فوقفت جدته أمامها حائرة ودامعة، وانتظمت النوبة في موعدها الصباحي ثلاثة أيام متوالية، وفي اليوم الرابع جاءه أبوه، فقابلته بالفرحة والبكاء واللوم الطويل لتركه كل هذه الفترة في بيت جدته، فلطف الأب من غضبه وقبله وأعلنه أنه قد جاء ليصطحبه إلى البيت وسيقدم له هناك مفاجأة ستسعدده!

ونفض الطفل بحماس ليعود إلى بيته، فاتهمته جدته بالجحود وبأنه لا يحبها، فوقف يردد نظره بابتسامة حائرة بينها وبين أبيه، وقال لها إنه



يجبها كثيرًا، لكنه رغم ذلك يريد أن يعود إلى أبيه وبيته وغرفته!  
وجمعت الجدة ملابسه وحمل الأب الحقيبة وأمسك بيد الطفل وغادرا  
المسكن، ولم يطق صبرًا حين خرجا فسأله عن "المفاجأة"، واستمهله  
الأب حتى يصلا إلى البيت ويراها بنفسه، وكرر السؤال مرارًا وتلقى  
نفس الإجابة فبدأت الآمال الغامضة تداعب خياله، وتساءل في  
نفسه.. هل تكون المفاجأة التي غاب أبوه من أجلها كل هذه الفترة  
هي عودة أمه من سفرها الطويل!

وانتهى أخيرًا الطريق الذي تصور أنه لا نهاية له.. ووثب درجات  
السلم أمام أبيه متعجلًا الوصول للشقة.. فوجد الضوء ينبعث من  
تحت بابها فتأكدت "ظنونه" وطرق الباب بيديه الصغيرتين منفعلًا  
ونادى:

افتحي يا ماما أنا وليد!

وانزعج الأب حين سمع النداء، وجاء من خلفه واجما وفتح باب  
الشقة فاندفع الطفل داخلا.. فرأى سيدة غريبة تقف في ردهة الشقة  
مترقبة.. وإلى جوارها طفلة صغيرة تتطلع إليه في صمت، فتوقف  
الطفل ذاهلاً ونظر إلى السيدة بعين مستفهمة.. ولاحظ في دهشته  
وارتباكه أن الشقة قد طليت بلون جديد، وأن هناك ستائر جديدة على  
النوافذ.. وأخرجه من صمته صوت السيدة الغريبة وهي تقول له في  
رفق:



مما توقعت!

ثم جذبته إليها وضمته وقبلته فاستسلم لها وهو لا يدرى هل يسعد باهتمامها به.. أم يحزن لأنها لم تكن "المفاجأة" التي توقعها؟، وأمسكت السيدة بيده وأشارت إلى الطفلة الواقفة إلى جوارها وقالت له:

هذه رانيا.. أختك الجديدة!

فتطلع إلى أبيه كأنها يستنجد به لتفسير كل هذه الغرائب، فلم يدعه الأب طويلاً لحيرته، وقال له وهو يختار كلماته بعناية:

وليد.. لن تشكو شيئاً بعد الآن.. فقد أصبحت لك "ماما" جديدة تحبك وستهتم بشئونك.. وأصبحت لك أخت جديدة ستلعب معك وتسليك.. وستنام معك في نفس الغرفة في سرير جديد حتى لا تخاف أثناء الليل.. أليس هذا ما كنت تتمناه؟

وهم الطفل بأن يقول له ما كان "يتمناه" حقاً.. لكن شيئاً غامضاً منعه من التصريح به فسكت.

وتبادل الأب مع السيدة بعض النظرات المعبرة.. فحملت الحقيبة التي جاء بها الأب، وأمسكت بيد وليد وقالت له في مرج:





تعال معي لترتب ملابسك وقادته إلى غرفته.. فلاحظ حين دخلها أن التغير قد شملها أيضًا، فأضيف إليها سرير جديد ودولاب صغير، وراحت السيدة تخرج ملابسها من الحقيبة وترتبها في دولابه والطفلة الصغيرة تراقب الموقف صامتة.. ووليد ينظر إلى أبيه فيشجعه بابتسامته ونظراته.

وانتهت المهمة فقالت السيدة:

سأدعكما الآن تلعبان معا بعض الوقت حتى أعد لكما طعام العشاء، ثم خرجت مع الأب، ووجد وليد الطفلة مازالت واقفة قرب الباب تنظر إليه في ترقب وخوف، فعزف عنها دون كلمة، وبحث عن ألعابه وأخرج منها علبة المكعبات الكبيرة وجلس على الأرض وراح يلعب بها ساهيًا.

وبعد دقائق رفع رأسه فوجد الطفلة مازالت في موقفها ترقبه.. وخيل إليه أنها خائفة، فعاد إلى ألعابه صامتًا.. وبعد دقائق أخرى رفع رأسه إليها فوجدها في مكانها تتطلع إليه في صمت.. وأمل.. فأشار لها بيده أن تأتي فاقتربت منه على الفور، كأنها كانت تنتظر هذه الإشارة، فأشار لها مرة أخرى أن تجلس، فجلست طائعة وأعطاه بعض المكعبات فتناولتها بترحيب وراحت تساعد في بناء السور الذي يبنيه، ووقع أحد المكعبات بعيدًا عن مجلسه، فأشار إليها فنهضت على الفور

وأحضرت له، فرق قلبه لها بعض الشيء وسألها وهو منهمك في تركيب قطع المكعبات:

من هذه السيدة التي كانت معك؟

فأجابته: ماما.

وعاد للعب للحظات ثم سألها مرة أخرى:

هل ستجلسان هنا فترة طويلة؟

فأجابته: ماما تقول إننا سنجلس على طول!

فكاد يستسلم للغضب احتجاجاً على هذه النية، لكنه عدل عنه وسألها:

ولماذا لا تجلسان في بيتكما مع بابا؟

فأجابته الطفلة ببراءة:

بابا "سافر" من زمان.. وشققتنا مظلمة وخالية!

فتساءل متعجباً لهذه "المصادفة":

أنت أيضاً "باباك" مسافر؟

وهزت الطفلة رأسها مؤكدة.. فنظر إليها طويلاً.. وأحسن للمرة الأولى منذ رآها بأنه يمكن أن يقضى معها بعض الأوقات السعيدة،



وأن يشتركا معا من حين لآخر في اللعب وفي مقاومة الخوف من الظلام أثناء الليل، ورآها صغيرة خائفة.. وملبية وتترقب إشارات لتنفذها بلا اعتراض.. فاستقر رأيه على ألا يطردها من غرفته كما فكر في ذلك منذ دقائق، وقرر أن يسمح لها باللعب معه كلما رأى ذلك مناسباً ولكن بغير أن تستولى على أية لعبة من ألعابه، وانهمك في بناء السور، وهي تساعدك كلما طلب منها ذلك وتستجيب في استسلام غريب لأوامره، فتساءل بينه وبين نفسه متحيراً:

لماذا "يسافر" بعض الآباء والأمهات بعيداً ويتركون أطفالاً حائرين وخائفين.. مثل هذه الطفلة الصغيرة.. ومثله؟





وصل القطار في مواعده في الثالثة من بعد ظهر الخميس  
فغادره الضابط الوسيم الشاب وسعى بين الزحام حتى غادر  
المحطة.. وقف ينتظر سيارة أجرة فطال الوقت دون أن يلُوح  
له أمل فاتجه إلى محطة الميكروباص وركب إحدى سياراته، في  
الرابعة كان يدق جرس شقة الأسرة في المنيل دقته المتقطعة  
المعروفة عنه، فانفتح الباب عن وجه أمه المبتهج وتلقته  
بالأحضان والقبلات، ومن خلفها جاء أبوه فاتحاً ذراعيه،  
15 يوماً كاملة يغيبها عن أبويه في عمله البعيد عن القاهرة،  
فيخلو عليهما المسكن بعد زواج شقيقته وهجرتها مع زوجها،  
ويخلصان للوحدة فلا يؤنسهما في وحدتهما سوى أخبار  
وحيدتهما المهاجرة وابنتها الغائب واجترار ذكريات رحلة  
العمل، الأب موظف كبير بالمعاش منذ عامين والأم مدرسة  
اعتزلت المهنة بعد تقاعد الأب لتخفف عنه وحدته، يمضيان  
معاً معظم أوقات النهار والليل ويذهبان إلى النادي القريب في  
الضحى ويعودان وقت الغداء؛ فيقضيان المساء أمام  
التلفزيون.

4

تتغير رتبة الحياة عندهما حين يرن التلفون رنينه الطويل  
حاصلاً صوت "أمانى" الملهوف دائماً بالشوق إلى أبويها من



مهجرها في كندا، يطمئنان على أخبارها ويسعدان بكل نجاح يحققه زوجها ويترقبان موعد عودتهما في الأجازة مرة كل عامين كما يترقب المرء الأعياد.

أما "هشام" الابن الذي يعيش على بعد مائة كيلو متر فقط من القاهرة فلا يحمل التليفون صوته من مقر وحدته العسكرية إلا نادرًا.. ويعتذر عن ذلك كل مرة بأنه يدخر الشوق والكلام كله إلى حين مجيئه إليهما كل أسبوعين، قلوب الأبناء تختلف في ضعفها عن قلوب الآباء والأمهات.. وقد عرفنا ذلك فيئسا من حثه على الاتصال بهما كل حين.

مائدة الغداء يوم الخميس حين يعود هشام هي بهجة الأسرة حقًا ومتعتها، تستعد لها أمه من اليوم السابق، ويشتري لها الأب أحسن الطعام والفاكهة، أما "التورطة" فيحملها معه هشام ويصر على أن يأكل الأبوان منها حتى التخممة، حديث المائدة يدور دائمًا حول أحداث الأسبوعين الماضيين في حياة الابن.. وحكاياته للذيذة تثير ضحك الأم والأب من القلب.

لكن هشام يتعجل إنهاء الجلسة كل مرة وينهض متسرعًا رغم احتجاج الأم فيغتسل ويغير ملابسه.. ويواجه حرج الاستئذان في الخروج قبل أن يرتوى شوق الأم إليه.

قالت له عاتبة:

ألا تصبر قليلاً على لقاء "الهانم" حتى تشبع من طعام الغداء..  
وتستريح من السفر؟

فنظر إليها باسمًا ومخرجًا.. وأنقذه أبوه من حرجه قائلاً له:

اذهب يا هشام.. وبلغ تحياتي للأستاذ حسنى ولا تتوقف أمام  
كلام أمك، فلو استطاعت لأبقتك إلى جوارها ولما سمحت لك بزيارة  
خطيبتك ولا بالعودة لعملك مساء غد.. فقبل الشاب أمه وودّع أباه  
وخرج.

في بيت فتاته.. وجد خطيبته في انتظاره في كامل زينتها فجلس مع  
أهلها بضع دقائق ثم استأذن في الخروج معها.

راحة القلب تبدأ حقاً حين يخرجان من باب العمارة فتشابهك  
أذرعهما، ويمضى الوقت جميلاً سعيداً بلا حساب.. عرفها وهو طالب  
بالسنة النهائية بالكلية الحربية.. وهى طالبة بكلية التربية البدنية، وتم  
تعارفهما في محل للحلوى والجاتوه بوسط المدينة. جمعت بينهما المصادفة  
وتعاهدا على الارتباط، تخرج في كليته وعمل خارج القاهرة..  
وتخرجت بعده وعملت مدرسة، وتوجا الحب بالخطبة والاستعداد  
للزواج.. قالت له أمه حين أراد خطبتها معترضة:

ليست جميلة.. بالمرّة وأنت وسيم وألف فتاة جميلة ترحب بك،





فلماذا تحكم على نفسك بعشرة فتاة غير جميلة قد تململها بعد أن يهدأ الحب.. وتتلقت حولك باحثاً عما ينقصك؟

فغضب لإهانة الحب ودافع عن فتاته بكل قواه.

أما أبوه فقد قال: الجمال مسألة شخصية تخصه.. ولا شأن لنا بها.. المهم أن تسعده وأن تكون من أسرة طيبة.. وكم من فتاة جميلة شقى بها زوجها، وكم من فتاة غير جميلة سعد بها زوجها.

ثم جاءت تحرياته عن أهلها مؤكدة جدارتهم بالمصاهرة فمنحه تأييده بلا تحفظ، وتمت الخطبة وتنازلت الأم عن معارضتها الواهية إكراماً لابنها ورحبت بخطبته.. بل واستراحت بعد قليل إلى طبيعتها وروحها الودود الوداعة.. مع ذلك فكثيراً ما تعجبت للهفته عليها رغم ما تراه من افتقارها للجمال!

غادر الخطيبان سيارة الأجرة في وسط المدينة.. فاتجها إلى محل الجاتوه والحلوى الذى تعرفا فيه للمرة الأولى، وتناولوا واقفين بعض قطع الجاتوه وهما يتضحكان، برنامج الحب كل أسبوعين يبدأ عندهما دائماً بهذا المحل الذى جمع بينهما على غير انتظار. غادراه فسارا في شارع سليمان ببطء وهما يتهاامسان وتواصل حديثهما بلا انقطاع. توقفاً أمام دار سينما مترو واستعرضا صور الفيلم المعلقة على جدرانها.. وتشاورا هل يمضيان الأمسية في دار السينما.. أم يتجولان بلا هدف



حتى نهايتها وقررا دخول السينما، لا يختلف الأمر عندهما كثيرا ففى داخل دار العرض سوف يتواصل همسهما وضحكهما الخافت إلى ما لا نهاية، وقد يخرجان منها دون أن يعيا شيئا كثيرا من أحداث الفيلم، فكل شيء جميل فى صحبة من تحب وحتى أفلام الكارتون التى تسبق عرض الفيلم تلقى لدهما صدى أكثر بهجة من صداها لدى الأطفال.

انتهى عرض الفيلم وغادرا السينما.. فتمشيا حتى كوبرى قصر النيل ثم ركبا سيارة أجرة فأعادها إلى بيتها وعاد سعيدا منتشيا إلى بيته. سيمضى معها كالعادة ظهر يوم الجمعة ويتناول الغداء على مائدة أسرتها وستخرج معه إلى محطة القطار.. وتجلس معه فى بوفيه المحطة يشربان الشاي، ثم تودعه على رصيف القطار حتى يغيب عن الأنظار.

الحب شيء ثمين يستحق العناء من أجله، فلا بأس إذن بأن يتحمل انتقاد أمه وشكواها الدائمة من أنه يقضى من أجازته مع "الهانم" أكثر مما يقضيه مع أبويه، ولا بأس أيضا بأن يتحمل راضيا سخريتها الخفيفة وتساؤلها الدائم عن سر "السحر" الذى سحرته به هذه الفتاة ليظل ملهوقا عليها هكذا.

الحب سحر فى حد ذاته يا أمى.. وليس فى حاجة إلى جهد دجال، أما "الجمال" الذى تلمحين إليه كلما تساءلت هذا التساؤل، فليس لى



من جواب عليه سوى أنى أراها أجمل الجميلات.. وإن لم تصدقنى  
فخذى عيني وانظري إليها بهما!

استراح لأفكاره ففتح الباب ودخل إلى مسكنه؛ فوجد أبويه  
جالسين فى الصلاة فى مجلسهما المعهود أمام التليفزيون، وتلقى نظرة أمه  
العاتبة وعبارتها الموحية "حمداً لله على السلامة" باسمها، ثم دخل إلى  
غرفته ليغير ملابسه.. قال لنفسه وهو يخلع قميصه، أمى طيبة  
وتحبنى.. وهى نفسها مثال "للحب" الذى تتعجب منه، لكن حب  
الأم لأبنائها قد ينسيها أحياناً بعض حقوقهم فى الحب.. ويشير حبهم  
للآخرى غيرتها الغريزية! كل تصرفاتها تنطق بحبها لأبى.. وكل  
تصرفات أبى تؤكد نفس الشيء.. حتى أنا لم أفهم مغزى مبادرتها  
بطلب التقاعد من عملها حين أحيل أبى للمعاش إلا حين شرحته لى  
فتاتى، وقالت لى إنه أكبر دليل على الحب العميق.. وجلستهما الآمنة  
أمام التليفزيون كل مساء التى يظللها دائماً العطف والفهم مثال آخر  
للحب، و"أمانى" لم تتزوج إلا ممن أحبّت، وحين اعترض أبى على  
خطبتها لمن تزوجته بسبب اعتزازه الهجرة قالت له أمانى:

إنها تحبه وسوف تنأى معه فى أى مكان يعيش فيه، فلا تقف فى  
طريقها.

ومازالت بأبى حتى تنازل عن معارضته.. فلماذا إذن تنكر على  
الحب؟





طالت غيبته بعض الشيء في غرفته فقالت الأم لزوجها:

- لم يسترح من عناء السفر.. وأنهكته "الهانم" بالخروج والنزهة  
وليبتها كانت جميلة بعد كل هذا العناء.. لكنه أعمى!

فداعب الأب مسبحته وقال لها مصطنعا الجدية:

"العمى" مرض وراثي في أسرتي.. ألا ترين أنني أحبيتك حين  
خطبتك.. وظللت على حبي لك حتى الآن.. رغم أنك لم تكوني  
جميلة؟

فلم تتمالك نفسها من الضحك والابتهاج لكلماته وقالت له  
راضية:

سأتجاوز عن "طول اللسان" مقابل الكلام الحلو الذي سبقه.. ربنا  
يكرمك!

فربت على يدها مشجعا، لم تكن جميلة؟ لقد كانت أجمل  
الجماليات.. ومازالت رغم تجاوزها الخمسين بعامين متعة بصرى..  
واطمئنان قلبي.. ورفيق عمرى.. اختلطت خيوطي بخيوطها  
فجدلت حبلاً واحداً يصعب فصله، ووقفت إلى جوارى في كفاح  
الشباب وفي كل محن حياتي.. وواستنى في أحزاني.. وسعدت  
بأفراحي.. وتوَّجت كل ذلك بطلبها التقاعد مختارة، حتى لا تدعني



للوحدة والفراغ حين أحلت للمعاش لم أطلب منها ذلك بل وعارضتها فيه، لكنها غلبتني بحكمتها وقالت لي:

عملت بما فيه الكفاية ومعاشي ومعاشك يكفلان لنا حياة كريمة..  
وابنائنا تخرجوا وعملاً.. وآن لنا أن نستمع بصحبتنا وحياتنا معا التي  
شغلتنا عنها الشواغل والأعباء، كما أنني لن أسعد إذا تركتك وحيداً  
في الشقة في الصباح..

فرفعت يدي مسلماً بحجتها.. وأضفت صنيعها إلى رصيدها الكبير  
عندي.

عاد الابن إلى الصلاة.. فنهضت الأم لإحضار بضعة سندوتشات  
خفيفة مع الشاي.. وتناولوا طعامهم هائثين.. وهم يتسامرون  
ويتنقلون بين السمر وبين مشاهدة تمثيلية السهرة في التلفزيون..  
ومضى الوقت رخياً طيباً حتى قطعت الأم مشاهدتها التلفزيون  
بسؤال ابنها فجأة:

برضه.. لن تناول الطعام الغداء معنا غداً؟

فاحمر وجه ابنها الشاب ولم يجد ما يقوله، وأشفق عليه الأب فنظر  
إلى زوجته من خلف ظهر ابنه محذراً ومنبهاً، وأدركت الأم ما أثارته  
من حرج في نفس ابنها وارتبكت قليلاً ثم قالت كأنها تجيب على نظرة  
زوجها:

ربنا يعمل ما فيه الخير!

ونَهَضت إلى غرفة نومها، فالتفت الأب إلى ابنه وقال له:

أمك ذهبت للنوم.. فاحك لي يا بطل ماذا فعلت الليلة مع خطيبتك؟

وتورّد وجه الشاب بالبشر وراح يحكى لأبيه وهو صديقه الحميم تفاصيل لقائه بخطيبته وما دار بينهما من حديث.. حتى حديث الحب.. والأب يسمع باهتمام وتشجيع إلى أن سمعا صوت الأم من غرفة نومها ينادى الأب:

حسين.. أَلن تأتي للنوم بعد؟

فنهض الأب متثاقلا وهو يقول لابنه الشاب باسمًا:

"الهانم" تنادينى من الداخل.. عن إذنك!

فضحك الابن من قلبه وتبادل مع أبيه تحية المساء.

ثم راقبه وهو يتجه بجسمه الطويل الذى لم يوهنه السن وإنما بدا فى مرحلة الشيخوخة أكثر مهابة وجلالا.. ونظر إليه طويلا وهو يغيب خلف باب غرفة النوم نظرة ملؤها الحب.. والإعجاب.. والاحترام!





كالخيط الفاصل بين عالمين يقع هذا المزلقان الذي يهبط  
حاجزه المتحرك في مواعيد محددة ليمنع عبور المشاة والسيارات  
عند مرور القطار، فعلى الناحية اليمنى منه بيوت صغيرة ومبانٍ  
عشوائية فقيرة وشوارع متربة، وعلى الناحية اليسرى شوارع  
لامعة وعمارات حديثة ومحلات باهرة الديكور والأضواء.  
كانت الناحيتان منذ سنوات قريبة حيًا واحدًا يشترك في كل  
السمات فزحف العمران على الناحية اليسرى، وأزيلت البيوت  
الصغيرة، وأقيمت العمارات الشاهقة ورصفت الشوارع  
وانتقل إليها سكان جدد.. وبقيت الناحية اليمنى على حالها  
يسكنها البسطاء.. وتتعرش في المشاكل.

وكان هو من سكان الناحية اليمنى، شابًا مكافحًا أنهى  
تعليمه فوق المتوسط بمشقة والتحق بوظيفة حكومية.. وتزوج  
من فتاة بسيطة طيبة وطاف بأحياء المدينة باحثًا عن سكن  
رخيص فلم يجده إلا في هذه الناحية الفقيرة.

5

عاش مع زوجته حياة هادئة، يعبر كل يوم على قدميه  
المزلقان الفاصل ليركب أتوبيس الهيئة الحكومية الذي يمر  
بالجزء اللامع من الحى، ويعود في المساء، فيعبره مرة أخرى إلى  
بيته وزوجته وابنتيه.. سنوات وراء سنوات وهو يعبر هذا



المزلقان دون أن يخطر له أن يفكر يوماً فيما يمثله من حواجز وفواصل بين عالمين كانا قبل سنوات عالماً واحداً، ثم رحلت زوجته الطيبة عن الحياة فجأة، وهو في الأربعين من عمره، فانطوى على أحزانه واحتضن ابنتيه يفرغ فيهما حنانه وواصل طريقه في الحياة متصبراً.

مضت خمس سنوات كاملة على وحدته اقتربت خلالها بنتاه من سن الشباب، فتضاعف إحساسه فافتقاد زوجته ودورها الهام في رعاية ابنتيه في هذه السن الحرجة. فتساءل متحيراً.. أين المعين؟ الكبرى منهما صورة شديدة الشبه بأمها في ملامحها وتفكيرها العملي وحسن إدارتها لشئون البيت، والصغرى صورة أخرى منها في حنانها وعاطفتها الدافقة تجاه الجميع فكأنها تقاسمتا مزايا الأم الراحلة وجددتا أحزانه بفقدانها.

علمته أيام الوحدة الكثير مما كان يجهله.. فعرف الكثير من شئون الفتاتين وشئون البيت، وتعجب كيف كانت زوجته الوديدة تدبر حياتهم بدخله المحدود بلا شكوى ولا اعتراض. وفي خجل وتحفظ بدأ يسأل زميلاته في العمل عما ينبغي له أن يفعله مع ابنتيه ليحميهما من ألاعيب الذئاب. وتوالت عليه النصائح المخلصة، اقترب من ابنتيك أكثر.. شجعهما على ألا تخفيا عنك سراً ولو كان مخجلاً.. وأن تستشيرك في كل شيء حتى في شئون القلب لكيلا تتخطا في بحر الحيرة بلا دليل.



ومتسلحًا بهذه النصائح الغالية حاول جاهدًا أن يقوم بدور الأم الغائبة في حياة ابنتيه، لكن هيهات أن يطمئن قلبه الحزين إلى نجاحه.

وذهب إلى العمل ذات يوم فوجد في الإدارة وجهًا جديدًا لسيدة في أواخر الثلاثينيات من عمرها مريحة الجمال وترتدى فستانًا قاتم اللون. وقدموه لها فعرف أنها زميلة جديدة نقلت إلى إدارتهم منذ قليل، فتصافحا باحترام ثم انشغل كل منهما بعمله، لم يتذكرها بعد ذلك إلا حين انصرف من الإدارة إلى موقف أتوبيس الهيئة، وراها تركب سيارة حديثة تقودها. في الطريق استرجع صورتها.. ومسحة الأسى الخفيفة في وجهها وربط في خياله بينها وبين لون فستانها القاتم فقدر أنها أرملة مهمومة بشئون أبنائها بعد رحيل الأب وقال لنفسه:

ما أكثر المهمومين في هذه الحياة.

أفاق من أفكاره حين رأى سيارتها من نافذة الأتوبيس تمضي في نفس الطريق.. وتابعها بعينيه لفترة.. ففوجئ بها تدخل نفس الحى الذى يقيم فيه على الناحية اليسرى منه.

بعد أيام رآها تتحدث عن متاعب قيادة السيارة في زحام المدينة وقت الظهيرة، وتسال عن كيفية الاشتراك في أتوبيس الهيئة، فنهض من وراء مكتبه في أدب واصطحبها إلى الإدارة المختصة وجامله





زملاؤه فيها بإنهاء الإجراءات في ثوان.. فشكرته بحرارة. وفي اليوم التالي توقف الأتوبيس في الصباح عند نقطة جديدة في الجزء اللامع من الحى.. وصعدت الزميلة الجديدة واتجهت بتلقائية إلى المقعد الخالى بجواره. تكررت اللقاءات في رحلة الذهاب ورحلة العودة.. وأحس بعد فترة بارتياحها إلى صحبته فتجراً واستشارها في شأن محير من شئون ابنته الكبرى فاستمعت له باهتمام وأخلصت له المشورة.

ويوماً احتاجت هى إلى خبرته في شأن يتعلق بمدرسة ابنتها فلم يكتف بالمشورة، وإنما حمل أوراق الابن وتوجه للإدارة التعليمية، وأنهى مهمته على ما يرام واستحق شكرها العميق.. تواصلت الأحاديث بينهما ففهم سر ألوانها القاتمة فى ملابسها، وفهمت سر ربطة العنق القاتمة التى يرتديها دائماً. وعرف أنها أرملة طيب توفى تاركاً لها ولداً وبنتاً أكبرهما فى الثانية عشرة، وأنها تواجه مشاكل دائمة مع أسرة زوجها بشأن ميراث الأبناء وتدخلات الأهل فى حياتها بعد رحيل زوجها. وجمعت بينهما الهموم المشتركة.. فاعترف لنفسه بأنه قد أصبح بعد ظهورها فى حياته أكثر إقبالاً على الحياة وأكثر تحملاً لمناعب الوحدة. وفى لحظة ضعف حكى لابنتيه عنها، فتشوقتا لرؤيتها وتردد طويلاً قبل أن يفتاحها برغبة ابنتيه، لكنها



رحبت بلقائهما ودعت الجميع إلى فنجان شاي أصيل يوم الجمعة في النادي القريب.

في الموعد المحدد توجه الثلاثة إلى النادي ففوجيء بابنتيه تندفعان إلى عناقها كأنها تعرفانها منذ زمن طويل، وجاش صدره بالانفعال والتأثر وهو يرى حرارة ترحيبها بهما وتآلفها السريع معهما. أما ابنها وابنتها فلقد صافحا الجميع بأدب وتحفظ وانصرفا إلى ملاعبهما. انفتحت له بعد اللقاء قناة جديدة للاتصال بها، فقد تبادلت الفتاتان معها رقم التليفون.. وبدأت الاتصالات بينهما، وأصبحت الأرملة الشابة حديثاً مألوفاً في بيته.

بعد أيام دعتها الفتاتان إلى الغداء يوم الجمعة.. فتخرج من مسكنه المتواضع وبيته القديم والحي الشعبي الفقير، وتساءل مهموماً إلى أي حد سوف يؤثر واقعه البسيط على نظرتها إليه.. لكنها لبّت الدعوة وأمضت الوقت بينهم مبتهجة وإن كانت قد جاءت وحيدة بغير ابنيها، وبعد أسبوع ردت لهما الدعوة فذهبوا إلى بيتها في الجانب الآخر من الحي، ولاحظ هو بإشفاق خفي العمارة الحديثة التي تقيم فيها.. والشقة الفاخرة والأثاث الباهر، واستشعر بُعد "المسافة" بينهما رغم قرب مسكنهما! ويومًا سأله ابنته الكبرى.. لماذا لا تتزوج من "طنط" مديحة يا أبي وهي سيدة لطيفة وجيلة وتحبنا!



فخفق قلبه للسؤال البريء وكنتم آلامه في صدره، وهم في اليوم التالي أن يصارح زميلته بمشاعره ورغبته في الارتباط بها.. لكنها بادرت بالحديث عن مشكلة جديدة ظهرت في حياتها هي رغبة أهل زوجها في أن تبيع شقة المصيف الغالية في المعمورة، ليضاف ثمنها إلى رصيد ولديها في البنوك واعتراضها على مبدأ البيع ورغبتها في الاحتفاظ بالشقة فماتت جرأتها في مهداها.. وشاركها الحديث بذهن غائب.

ليست من عالمي.. ولست من عالمها.. وما هي رغب طيبتها وتواضعها إلا من السيدات اللاتي يعملن لشغل الفراغ وقتل الملل.. فلماذا يتعلق القلب بالأمل الصعب فيها؟ لكن نداء القلب قاهر.. فما إن روت له بعد أيام، وهو يوصلها إلى بيتها سيرا على الأقدام، أن متاعبها مع أسرة زوجها ليست هي كل المتاعب، وأن أسرتها تلح عليها في قبول زوج مرموق كان زميلاً لزوجها الراحل ولديه من الإمكانيات ما يساعدها على ضمان أفضل مستقبل لابنيها.. حتى انفلتت من عينه دمعة صامتة.. وأطرق برأسه خجلاً.. فكفّت عن الحديث متحرجة وانصرف صامتاً.

وفي اليوم التالي بادرت هي بالحديث فأكدت له احترامها له وميلها إليه.. وارتياحها لصحته.. لكنها لا تستطيع تحمل المشاكل التي





ستواجهها من جانب أهل زوجها، إذا هي استسلمت لمشاعرها ووافقت على الارتباط به وأكثرها توقعًا انتزاع ولديها منها.. أو حرمانها من الوصاية عليهما، لهذا فلا حل لمشكلتهما الآن إلا أن يدعاهما للزمن!

وتقبل الأمر الواقع صاغراً.. لكن مرور الأيام يزيد من احتياجه إليها وتليفون المساء لم يعد قادراً وحده على تلبية كل احتياجاته العاطفية والنفسية منها.. ولم يطق صبراً فعاد يسألها بعد أسابيع:

هل تقبلين زوجاً لا يملك إلا حبه لك ورغبته في أن يسعدك ويسعد بك؟

فتجمعت سحب الهموم في وجهها وأطرقت صامته.

واعتبر صمتها رفضاً مهذباً لحبه وآماله.. فانصرف حزيناً وعاقداً العزم على أن يبتعد عنها، لكن تليفون المساء جاء في مواعده.. فنسف إرادته وعاد يتعلق من جديد بالأمل فيها. ويوماً أثبتت له صدق مخاوفها فاستجابت لرغبته في أن يتقدم لأبيها بطلبه وحددت له موعداً معه.. وذهب إليه في بيته ووجدتها عنده فتشجع بوجودها، وصارحه برغبته فقابلته الأب بأسئلة هجومية مخرجة عن أملاكه وإيراده ودخله السنوي ومسكنه والحي الذي يقيم فيه وسيارته... إلخ.. فتصبب عرقاً وهو يجيبه بأنه لا يملك سوى مرتبه، ولم يرحمه الأب وإنما طلب منه بقسوة عجيبة أن يطرد هذه الفكرة نهائياً من ذهنه، لأنه لا يصلح

لابنته اجتماعيًا ولا ماديًا.. وقارن بلا حياء بين ظروفه وظروف  
"الآخر" المرموق الذى ترفضه ابنته.. وطلب منه أن يُحكّم عقله  
وضميره لو كان فى مكانه، ويحدد له أيهما يقبله لابنته وأيها يرفضه؟ ولم  
يخفف تدخلها بينهما فى الحديث ولا لومها لأبيها من وقع كلماته  
القاسية عليه فانصرف مستخزيًا!

قال لنفسه: مثيالاتها يتزوجن من يردن بغير اعتماد كبير على موافقة  
الأهل، فلماذا تقف هى عاجزة عن الإقدام؟.. وصارحها بأفكاره  
فصارحته بأنها لا تستطيع مواجهة متاعب أسرة زوجها بغير مساندة  
أسرتها لها، ولا تستطيع أن تفقد رضا الأسرتين معًا!

ويومًا اشتدت عليه آلامه، فبكى بين يديها واثمها بأنها تعطى لهذه  
الاعتبارات المادية نفس الأهمية التى يعطيها لها الأهل.. ولو لم يكن  
الأمر كذلك لما ترددت أمام الزواج وقبول المتاعب، فأجابته فى حزن  
بأنه يطالبها بالكثير الذى لا تستطيع أن تقدمه!

وانتهى اللقاء العاصف فى سيارتها بأن طلب منها ألا تتصل به مرة  
أخرى وأن تتجنب الركوب فى أتوبيس الهيئة.. وأن تتجاهله فى العمل  
لكى تعينه على نسيانها وإخراجها من حياته ووافقته دامعة على ما  
يريد.

وفى اليوم التالى اعتكف فى بيته وأمضى اليوم عليلًا راقدًا فى  
فراشه.. حتى عادت ابنتاه من المدرسة.



وأرسل إلى عمله يطلب أجازة ولازم البيت لا يخرج منه ولا يستجيب لمحاولات ابنتيه للتسرية عنه.

وفي اليوم السابع جلس في شرفة شقته المتواضعة يشرب القهوة.. ويتأمل شوارع الحى المتربة المزدهمة بالباعة الجائلين والبشر.. ويرنو إلى الجانب اللامع منه.. ويرقب عماراته العالية الزاهية بألوانها ويحاول أن يحدد موقع بيتها بينها.. ويتخيلها فيه.. ويتصور ماذا تفعل في هذه الساعة، ويستعيد مشاهد قصته معها منذ رآها للمرة الأولى.. فمال بعد تفكير طويل إلى ألا يظلمها ويحملها ما لا طاقة لها به.. والتمس لها بعض العذر في ظروفه غير المواتية، وفي ظروفها المعقدة.. وحنَّ حنيناً دافقاً إلى صوتها العطوف.. وحديثها الصادق فرنَّ جرس التليفون فجأة بجواره ورفع السماعة وسمع صوتها الحبيب يتساءل في حذر وخوف:

هل مازلت غاضباً منى؟

فتنهذ بارتياح شديد، وقال لها صادقاً وهو يرقب المزلقان الذى نزل حاجزه الأحمر وتعالى منه صوت جرس التحذير، ففصل بين جانبي الحى استعداداً لمرور القطار الوشيك:

لا، لم أعد غاضباً منك لحظة واحدة.. لكنى مازلت غاضباً.. بل وشديد الغضب والألم.. من "المزلقان"!





انتهت من ارتداء ملابس الخروج.. ألقت نظرة أخيرة على وجهها في المرآة ومسحت بأصبعها تحت جفنها كأنها تريد أن تزيل ما بدا لها بداية التجاعيد. اطمأنت إلى هيئتها وجمال وجهها الحالم دائماً فأمسكت بحقيبة يدها وتوجهت نحو باب الشقة.. ركبت سيارتها الصغيرة وتحركت بها وهي تسأل نفسها كعادتها كل يوم:

إلى أين أذهب هذا الصباح؟

سؤال تسأله لنفسها كلما غادرت بيتها في الصباح، فهي لا تعمل ولم تنجب، وليس في حياتها سوى زوجها المشغول بعمله حتى الخامسة مساءً. في سنوات الزواج الأولى كانت تنهض متأخرة من النوم فتجد زوجها قد تناول إفطاره وغادر البيت، فتمضي فترة الصباح متكاسلة.. ترتب الشقة.. تسقى النباتات.. تتناول إفطارها أمام التلفزيون، تتسلى بمتابعة علاقات أبطال التمثيليات المسلسلة، وتتعاطف مع التعساء والمظلومين منهم. تنتظر زوجها في المساء.. تتناول معه طعام العشاء، يستريحان بعض الوقت ثم ترتدى ملابسها ليخرجها معها إلى زيارة عائلية أو إلى السينما.. أو النادي. سلمت منذ وقت مبكر بالتنازل عن حلمها في إنجاب طفلة تربيتها



وتشاركها اهتماماتها.. أدركت استحالة تحقيق الحلم بعد جولة عصبية داخل عيادات الأطباء ومعامل التحليل. نظر إليها زوجها خجلاً.. وأحنى رأسه وهو يعرض عليها الانفصال، لكى تبدأ حياة جديدة مع آخر ليس محكوماً عليه بالحرمان من الإنجاب، وبكت طويلاً واعتبرت عرضه انهماً للحب وتخلياً عنه. قال لها: ستطول وحدتك في فترات غيابي في العمل، فقالت له إنها تشغل نفسها بما يعزينا عن افتقاد الأطفال. تعلمت الرسم على الزجاج وتلقت دروساً فيه شغلت بها ساعات الصباح. تعلمت صناعة الأباжورات وصنعت عدة تحف منها زينت بها بيتها. اهتمت بنباتات الظل.. وقرأت عنها كثيراً لتعتنى بها. نثرت أصص النباتات والورود في كل مكان من الشقة، زارت مشاتل النباتات في أطراف المدينة وعرفها أصحابها فخصوها بأفضل ما عندهم. أدمنت مشاهدة التلفزيون والفيديو.. وسماع الموسيقى.. ترددت على النادي في الصباح في بعض الأحيان.

لكنها فقدت مع مرور السنين قدرتها على النوم حتى الضحى، وأصبحت تنهض من فراشها مع الفجر، فتؤدي صلاتها.. وتنشغل بعمل البيت وإعداد طعام اليوم، ويخيل إليها أن النهار قد انتصف، وتنظر إلى ساعتها فتجدها لا تزال تزحف نحو الثامنة صباحاً! تسأل نفسها ماذا أفعل بعد ذلك في بقية النهار؟ زوجها ينهض من نومه في



الثامنة.. تتناول معه الإفطار والقهوة ثم يخرج إلى عمله في التاسعة..  
فتسأل نفسها.. وماذا بعد؟

ترقب من النافذة أطفال الجيران وهم يغادرون العمارة بملابس المدرسة الجميلة ومعهم أمهاتهم.. فتسرح أفكارها بعيداً وتتخيل نفسها توقظ "طفلتها" من النوم في الصباح، فترفض مغادرة الفراش لأنها لم تشبع بعد من النوم.. فتظل تلح عليها حتى تغادره كارهة وساخطة، تدفعها دفعاً إلى الحمام.. وتعد لها شطائر المدرسة "وترموس" الماء، وتعينها على ارتداء ملابسها، وتسرح لها شعرها فتسخط كل يوم، لأنها تصفف لها شعرها بعنف يضايقها.. ثم تسحبها من يدها وتنزل بها إلى الشارع وتقف على ناصيته مع الأمهات الأخريات حتى يجيء أتوبيس المدرسة، تتبادل معهن "الشكوى" من متاعب الأطفال واضطرابها للنزول كل يوم في عز البرد لتصبح صغيرتها الشقية إلى أتوبيس المدرسة.. ترجع مع جاراتها وهن يتجاذبن أطراف الحديث، ويتبادلن طرائف أطفالهن إلى العمارة، وتمضي ساعات الصباح في عمل البيت وهي تترقب موعد عودة الأتوبيس لتكون في انتظاره في نفس المكان، ثم تصطحب ابنتها إلى الحمام مباشرة رغم اعتراضها وصراخها طالبة الطعام. تغسل لها وجهها ويديها ثم تجلس معها على المائدة لتناول الغداء.



فات الأوان لتحقيق الأمنيات؛ ولم يبق للنفس إلا عزاء الأحلام في دنيا الخيال. تتعجب من سخط جارتها الدائم على أطفالها وشكواها التي لا تنقطع من متاعب خدمتهم ومتابعة دروسهم وأمراضهم ونفقاتهم ومطالبهم، وكيف تتحين الفرص لافتعال المشاجرات مع زوجها فتهجره إلى بيت أمها أسبوعاً أو أكثر ثم تعود. تلتقي بها أحياناً على درج السلم وتسألها عما أغضبها، فتعترف لها ضاحكة في بعض الأحيان بأنه لم يكن هناك ما يستحق الغضب والهجر، لكنها رأت في ذلك أجارة قصيرة من متاعب الأولاد! تعجب لأن يضيق الإنسان أحياناً "بأسباب السعادة"، لكن هكذا تمضي الأمور في بعض الأحيان.

شكت لزوجها من ضيقها بساعات الصباح التي ينشغل عنها خلالها في عمله، فأطرق حائرًا ولم يجر جوابًا. لا يقصر في رعايتها والاهتمام بها لكن ماذا يفعل ليعوضها غيابه خلال ساعات العمل؟. إنه يعتذر عن مهام العمل خارج المدينة التي تبعده عنها، ما لم يتح له أن يصطحبها معه فيها. لو استطاع أن يمارس عملاً في بيته يدر عليه ما يكفل له ولها حياة كريمة لما تردد. لكن عمله هو مورد رزقه الوحيد وساعاته الطويلة هي سر مرتبه الكبير. يغادر البيت في التاسعة صباحاً ويعود في الخامسة مساءً ولا مفر من ذلك فماذا يفعل؟ عرض عليها أن تلتحق بأي وظيفة لشغل أوقات فراغها ففشلت في الاستمرار في أول



عمل مارسه أكثر من شهرين، ونفضت يدها منه يائسة من تجربة العمل نهائياً. شجّعها على الذهاب إلى النادي واشترى لها بكل مدخراته سيارة صغيرة بالتقسيط.. فترددت على النادي بضع مرات ثم زهدت فيه.

ثم فجأة أصبحت لا تطيق وحدتها بين جدران بيتها في ساعات الصباح. سئمت مشاهدة التليقزيون ومسلسلات الصباح. ملّت الرسم على الزجاج وصناعة الأباжورات. كرهت الموسيقى.. لم يبق لها من هواياتها القديمة سوى القراءة.. والسرطان الطويل.. وسقى النباتات وتأملها لفترات طويلة.. يغادر زوجها البيت فترتدى ملابسها وتتأمل وجهها في المرآة قليلاً ثم تتركب سيارتها وتسال نفسها: إلى أين؟ مشكلتها اليومية هي أن تجد "مهمة" تؤديها أو زيارة تقوم بها أو مكانا تزوره فيجدد اهتمامها بالحياة. تتردد كل يوم هل تزور أمها أم بيت شقيقها أم تذهب إلى المشتل؟

لا بد من قرار قبل أن تتحرك السيارة فما القرار؟ يطول بها الانتظار وهي جالسة داخل السيارة فيأتيها المنادي يسألها:

هل كل شيء على ما يرام؟

فتجيبه بنعم ثم تدير سيارتها وتمشي بها على غير هدى.

الهيئة الأجنبية التي يعمل بها زوجها تعطى العاملين نصف ساعة فقط لتناول الغداء في الثانية عشرة ظهرًا، فيتناولون الشطائر في مقصف الهيئة، ذهبت إليه بضع مرات لتراه في هذه الاستراحة وتشرب معه القهوة، لكنها لم تستطع مواصلة الزيارة، لأن مدير زوجها لفت انتباهه إلى منع الزيارات خلال يوم العمل.

قادت سيارتها ذات يوم إلى فندق كبير تطل شرفته على منظر جميل وجلست لتشرب القهوة وتتفرج على زحام الطريق، فاقترب منها رجل أنيق وابتسم، وقبل أن يهم بالكلام كانت قد تركت ثمن القهوة على المائدة وأسرعت بمغادرة المكان. ثمتت لو كانت لها صديقة خالية من الأعباء تستطيع أن ترافقها في جولات الصباح وتحتمى بوجودها معها، لكن كيف السبيل وكلهن موظفات أو أمهات مرهقات بأعباء الأطفال.

متاجر وسط المدينة هي هدفها في أغلب الأيام. تتخير المتاجر الكبيرة التي لا يلاحق البائعون فيها المشتري بالسؤال عما يرغب في شرائه ثم تدخلها؛ فتتجول بين أقسامها لفترات طويلة وقد تشتري شيئًا.. وقد تكتفى بالفرجة وقتل الوقت. في أحد هذه المتاجر اصطدمت ذات يوم وهي غائبة الذهن بشخص وسيم وأحست بالخجل.. وهمت بالاعتذار له فبادرها هو بالاعتذار مبسمًا. وقبل أن تتحرك منصرفه قال لها:





في خدمتك يا هانم أنا مدير هذا المحل ..

شكرته بحياء وهمت بالتحرك.

فقال لها مرة أخرى:

إذا أعجبك شيء لا تترددى في الحضور إلى مكتبي في نهاية هذه  
الصالة لأجري لك خصماً طيباً على سعره. وهذه بطاقتي!

تناولتها محرجة وشكرته وانصرفت وعادت إلى سيارتها، نظرت إلى  
البطاقة بضع ثوان ثم ألقته بإهمال في "تابلوه" السيارة.

روث لزوجها في المساء ما حدث، فضحك وطالبها بمزيد من  
الاحتراس ضد نوبات السرحان. بعد أسبوعين وجدت نفسها تدخل  
نفس المتجر الكبير، وتتجول في أبهائه، ووقفت أمام مرآة ورف  
يصلحان لمدخل شقتها وراحت تتأملها طويلاً، ففوجئت بصوت  
يأتي من خلفها قائلاً:

هل تعجبك هذه القطعة؟ إذا رغبت فيها سأقدم لك تسهيلات  
مغرية في الدفع؟.

والتفت فرأته وشكرته وتحركت لتنصرف فقال لها بأدب:

لم تسأليني عن التسهيلات. فابتسمت في خجل فواصل الحديث  
كأنها يجيبها عن سؤالها:



سأقدم لك خصماً 20٪ وأقبل بيعها لك بالتقسيط على عام.. فماذا  
ترين؟

فأجابته:

سأفكر في الأمر وأتصل بك.

لكنه لم يدعها لنفسها فقال لها:

لماذا لا تفضلين بالذهاب معي إلى مكتبي لأعرض عليك كل  
التسهيلات؟

وقبل أن تجيب بالرفض أو القبول كان قد تحرك في اتجاه  
مكتبه وهو يقول لها:

تفضلي يا هانم.

ولم تجد مفراً من أن تتبعه. وجاء الساعى على الفور بفنجان القهوة  
فأمسكت به، وهى تحس بنظرات الآخر ترقبها فى اهتمام. قال لها:

إنه يعرف من يترددون على متجره بكثرة وأنه رآها مراراً داخله،  
وأحس بأنها تعاني من الفراغ وتقطع الوقت بزيارة المحال.. فإذا كان  
ما فهمه صحيحاً فلماذا لا تشغل وقتها بعمل مفيد؟

وسألته:



مثل ماذا؟

وأجابها بلا تردد:

كأن تعملى سكرتيرة لى. إننى أحتاج إلى سكرتيرة محترمة مثلك  
تنظم لى وقتى ومقابلاتى وأوراقى. وفشلت تجربتى مع الفتيات  
الصغيرات المشغولات بأنفسهن، ولن يرهقك العمل كثيرًا فهو من  
التاسعة صباحًا حتى الثالثة بعد الظهر، وفى فترات المساء يساعدننى  
سكرتير آخر. وسيكون المرتب مناسبًا.

ففكرت لحظات ثم وعدته بأن تفكر فى الأمرين معًا!

غادرت المتجر الكبير مشغولة البال بما عرضه عليها صاحبه أو  
مديره.. لماذا يعرض عليها العمل معه.. وهو لا يعرفها ولا تعرفه؟..  
وماذا يريد منها؟ إنه رجل وسيم أنيق يجيد الكلام الحلو وابتسامته  
تسبق كلامه دائمًا. وهو متزوج بغير شك فهو فى الأربعين من عمره  
على الأقل.. ودبلة الزواج تلمع فى يدها، ولا يمكن أن تخفى على  
لماحيته.. فماذا يريد منها؟ اعتزمت ألا تعود إلى هذا المتجر مرة  
أخرى، وأن تتجنب زيارة المتاجر الملاصقة له حتى لا تصادفة فى  
طريقها إليها.. ومضى أسبوع لم تقترب فيه من المتجر. ثم ضاقت  
بفراغ الصباح مرة أخرى فركبت سيارتها إلى نفس الشارع  
التجارى ونزلت تتجول بين محاله.. وتنقلت من محل إلى آخر



ووقفت أمام فاترينة أحد المحال القريبة تتأمل معروضاتها.. ثم قررت دخوله لتسأل عن شيء عن لها، واتجهت إلى البائعة وانشغلت بالحديث معها لحظات، ففوجئت بصوت يقول لها مرحباً:

- أية خدمة يا هانم؟

التفت ناحية الصوت بطريقة تلقائية، فوجدته أمامها مرة أخرى بابتسامته العريضة.. ولم تخف دهشتها وخرجها.. وبادرها هو موجهاً حديثه للبائعة بلهجة امرأة:

اهتمى بطلب السيدة.. وقدمي لها خصماً 25٪ على الثمن!

وأحنت البائعة رأسها مؤكدة الاستجابة.. وبالغت في احترام السيدة وإرضائها.

وانسحب هو من موقفها.. وابتعد قليلاً ووقف يتحدث مع شخص آخر، ورمقته البائعة عن بعد ثم همست لها وهي تعرض عليها معروضاتها:

هل تعرفين الأستاذ عصام؟

فأجابتها بأنها لا تعرفه سوى معرفة عابرة من خلال زيارتها للمحل الذي يديره.. وبعد تردد سألتها عن علاقته بهذا المحل..

ففسرت لها الأمر بأنه شريك فيه وأنه وشقيقه يملكان هذين المحلين مع 3 شقيقات وينفرد كل منهما بإدارة أحدهما. وكأنما أحست البائعة بأنها لا تعرف عنه الكثير فقالت لها:

إنه مطلق منذ 3 سنوات، وقد انفصل عن زوجته التي أنجبت منها طفلين وتزوجت غيره وهو يبحث عن زوجة تحب الأطفال لترعى طفليه.. وختمت حديثها بهمسة لها مغزى قائلة لها إنها لاحظت "اهتمامه بها" على عكس حاله في الظروف العادية!

تنبّهت حواسها لما سمعت رغماً عنها وسألتها باهتمام بدا غريباً للبااعة:

وأين يعيش الطفلان؟

فأجابتها بأنه قد استردهما من مطلقة عقب زواجهما، ويعيشان في رعاية أمه السيدة المسنة ويتردد عليهما من حين لآخر! وغادرت المحل مضطربة المشاعر.

وبعد أسبوع زارت المتجر الأول في الصباح. وتهلل المدير الوسيم لرؤيتها.. وأقبل عليها مرحباً وهو يتساءل:

هل قبلت العمل معي؟

وأبهجتها فرحته بلقائها رغماً عنها، لكنها أجابته بالنفي وبأنها جاءت لشراء مرآة المدخل والرف..



ولم يفسد ذلك فرحته ودعاها إلى المكتب.. وطلب منها عنوان مسكنها لإرسال مشترياتها إليها بسيارة المتجر بعد الظهر، وحاول تقسيط الثمن لها فاعتذرت ودفعت الثمن كاملاً فجاملها بخصم كبير. وهمت بالانصراف، فسألها أن تنتظر عودة الساعي بالإيصال ثم باعتهما بالسؤال:

هل عندك أطفال؟

واهتزت مشاعرها رغباً عنها واحمر وجهها خجلاً، وهي تجيبه بالنفي، ثم تعجلت النهوض فصحبها إلى موظفة الخزينة.. وقدم لها الإيصال وودعها باحترام. وغادرت المتجر أكثر اضطراباً مما دخلته. وبعد عودتها إلى بيتها بقليل جاءت سيارة المتجر وحملت إليها المرأة والرف.. وفازة أنيقة تكمل المجموعة. ورفضت تسلم الفوز لأنها لم تطلبها، لكن العامل الذي حملها أصر على أنها مسجلة عنده في أمر التوريد وطلب منها الاتصال بصاحب المتجر ومراجعته في الأمر. وأدارت رقم تليفونه. وجاءها صوته راجياً قبول الفوز كهدية من المتجر لعميلة محترمة من عميلاته.. وراجياً ألا تخرجه أمام العامل بإعادتها.. اليوم على الأقل!

وسلمت بالأمر الواقع.. فشكرها "بحرارة" على محافظتها على كرامته أمام أحد عماله!





وبعد تفكير طويل قررت أن ترسم بعض اللوحات الزجاجية وتقدمها له كمقابل للفازة التي أرسلها إليها ورسمت لوحتين ثم حملتهما إلى المتجر وأعطتهما لموظفة الخزينة راجية تسليمهما للأستاذ عصام، لكن الموظفة أبت تسلم اللوحتين وأشارت لها إلى مكتب المدير لتسلمهما إليه.

وتوجهت إليه ففوجئت بطفلين يجلسان معه ويتناولان الآيس كريم. نهض مرحباً بها وأسرع يقدم إليها طفليه "بسنت" و"وسام"، وابتسمت لهما. وقلبها يخفق بإحساس غريب وتأمل هو اللوحتين بإعجاب.. واشترك معه الطفلان في مشاهدتهما وسألت "بسنت" أباهما عن رسمهما.. فأشار إليها قائلاً:

إنها هي التي رسمتهما.. واشتبكت معها "بسنت" و"وسام" على الفور في حديث عن الرسم.. وسألاها عن اسمهما.. وكيف ترسم فوق الزجاج وقاطعهما أبوهما بسؤاله لبسنت:

هل تحبين أن ترسمي مثل طنط منى؟

وأجابته بالإيجاب.

فنظر إليها باسمًا ثم قال لها:

ما رأيك في هذا "العمل" المريح.. درس في الرسم مرة كل أسبوع وسوف أرسلها لك مع أحد موظفي المحل!



ولم تستطع أن ترفض رجاء الطفلة، ووعدها بأن تعطيها درسها الأول يوم الأحد القادم. وانصرفت تاركة اللوحتين ومؤكدة له أنها لا تنتظر مقابلا لهما.

وفي المساء روت لزوجها ما حدث فلم يسترح كثيرا للقصة.. لكنه لم يعترض، وجاءتها "بسنت" في موعدها مع أحد موظفي المحل صباح يوم الأحد التالي وهو أجازتها من المدرسة.. وسعدت بها سعادة طاغية وأمضت ساعات الصباح تتحدث معها وتجيب عن أسئلتها.. وتعلمها الرسم.. وسألها زوجها في المساء بإشفاق عن نتائج التجربة، فأكدت له أنها استمتعت بساعات الصباح ذلك اليوم للمرة الأولى منذ سنوات عديدة.

وتكررت زيارات "بسنت".. ومن أحاديثها عرفت الكثير عن أبيها وعائلته وعرفت أيضا أنه يستجوبها بعد عودتها ويسأل عن تفاصيل ما جرى بينهما من أحاديث.. ويسألها عن طنط منى كثيرا.

وطلبت منها "بسنت" رقم تليفونها لتتصل بها من بيت جدتها، وأعطته لها وأصبحت تتصل بها كل يوم بعد عودتها من المدرسة.

وأصبحت "بسنت" حديثا دائما على لسان الزوجة الوحيدة مع زوجها، وشيئا فشيئا بدأ زوجها يعبر عن عدم ارتياحه لظهور "بسنت" في حياة زوجته، ويسألها ولماذا لا توجه اهتمامها هذا إلى ابنة شقيقها أو ابنة شقيقته؟



واشتمت في حديثه رائحة الشك.. فغضبت وتوترت أعصابها. ولم  
تفلح تأكيدات لها بأنه يثق فيها ثقة كاملة في تخفيف توترها.

ولمس للمرة الأولى منذ زواجهما ابتعادها بأفكارها وخوابرها  
عنه.. فاكتأب لذلك، وأحس بأنها تبصر في سفينة تتجه بعيداً عن  
شاطئه.

وازدادت عصبيتها في الأيام التالية.. وتحمل ثوراتها المفاجئة عليه  
واتهامها له بالأنانية وبأنه لا يحس بها وبما تعاني.

وسأله بحدة ذات يوم:

هل تغار من طفلة صغيرة؟

فأجابها حزيناً:

لا.. لكنني أغار ممن وراء هذه الطفلة الصغيرة!.. وما يمكن  
استدراجك إليه عن طريقها.

واعتبرت إجابته جرحاً دامياً لكرامتها، فهجرت بيته وعادت  
للإقامة في بيت أمها. واتصل بشقيقها يشرح له ما حدث.. ويسأله:

هل تريد الطلاق؟

فنصحه بالصبر عليها.. وبألا يستجيب لمطلبها حتى لو طلبت



الطلاق لأنها في حالة عصبية لا تسمح لها بالتفكير المتزن.. ومضت أيام لم تتصل به.. ولم تعد إلى بيتها. واتصل بيت أمها طالباً الحديث معها.. فرحبت به طويلاً وكررت عليه نصيحة شقيقها بالصبر عليها حتى تجتاز هذه الفترة من حياتها ثم اعتذرت له في النهاية بأنها "نائمة"!

وتكرر اتصاله بها.. واعتذار الأم عنها بشتى الاعتذارات حتى أيقن أن قصة حبه وزواجه قد آذنت بالمغيب.

ويوما عاد إلى بيته في المساء، فأبلغه البواب أن هناك طفلة صغيرة قد جاءت في الصباح ومعها شخص، وقالت له إن أحداً لا يجب جرس الباب في مسكنه، وأن ذلك قد تكرر معها أيضاً قبل أسبوع. وابتهج باطنه بهذه الحقيقة التي أهداها له البواب بغير أن يدري.. مازالت "بسنت" تأتي في مواعدها الأسبوعية وترن جرس الباب فلا يفتح لها أحد.. إذن فليس هناك اتصال بين زوجته و"بسنت" ومن هو وراءها!.. مازالت زوجته المخلصة التي يعرفها ويحبها.. ولو كانت غير ذلك لعرفت "بسنت" ومن وراءها أنها تقيم بيت أمها منذ أسبوعين.. لشد ما ظلمها.. إنها تحب الأطفال والبنات على وجه الخصوص.. ورأت في "بسنت" ما يشبع حنينها القديم لطفلة تربيتها، لكنها لم تكن الحب ولن تخونه.. نعم إنه لا يستريح إلى علاقتها بها



تخوفاً من المستقبل ومما قد يفكر فيه أبوها الذى جمع بينهما.. لكنه لا يستطيع أن يظلم زوجته.. فلتحب "بسنت" كما تريد.. ولتستقبلها صباح كل أحد.. وليكنتم هو مشاعره إلى أن تهدأ مخاوفه.. أو تتغير الأحوال ويأس الآخر مما يهدف إليه.

وأسرع إلى بيت أمها.. ولم يتوقف عند محاولات الأم لتعطيله عن دخول غرفة نوم زوجته القديمة.. واندفع إليها متفاعلاً يحتضنها وهو يلهث من الانفعال ويقول لها:

- "بسنت" جاءت مرتين للسؤال عنك.. فعودى إلى البيت لتكونى فى استقبالها الأسبوع القادم.. ولن أعترض.. ولن أتخوف لأنى أثق فى زوجتى وحييتى.

وعادت معه إلى بيتها.. وفى اليوم التالى عاد من عمله حاملاً معه باقة من الزهور ليضعها فى فازة المدخل.. فلم يجد الفازة فى مكانها وسألها عنها فأجابته بابتهاج:

بعثها لبائع الروبايكيا! ولم يهتم بالاستفسار عن السبب.. وأسعده ابتهاجها وإقبالها عليه، وسألها عن يومها، وكيف أمضت ساعات الصباح فقالت له:

ذهبت إلى النادى وعلقت على لوحة الإعلانات فيه ورقة صغيرة مكتوباً بها: دروس مجانية فى الرسم على الزجاج للفتيات الصغيرات

من سن 4 سنوات حتى 12 عامًا من العاشرة صباحًا حتى الثانية عشرة ظهرًا.. ومكان الدرس صالة الهوايات بالنادي! ثم قالت له:

سيكون لي أكثر من "بسنت" واحدة.. وستصبح ساعات الصباح فترة مثيرة وحافلة بالنشاط الممتع.

فرفع يدها إلى فمه ولثمها صامتًا.. ومدت هي يدها تداعب مؤخرة شعره وتقول لنفسها صامتة ومتفكرة:

ما تغزله السنوات من خيوط الحب المتشابكة يصعب على الأحداث الطارئة.. أن تفصمه!





غادر عيادة الطبيب مكتئبًا. مشى في الطريق، يحمل المظروف الأبيض الذى يضم صور الأشعة والتحاليل ذاهلاً عما حوله. اصطدم بغير أن يشعر بشيخ يتوكأ على عصا، فكاد الشيخ يتداعى لولا أن أمسك به معتذراً. أحس أنه فى حاجة لأن يستعيد بعض هدوء أعصابه، فتوقف وتلفت حوله باحثاً عن مقهى قريب. دخل أول مقهى صادفه وهو غارق فى أفكاره، وجاء الجارسون فتحير ماذا يطلب منه. همّ بحكم العادة أن يطلب فنجان القهوة التى يعشقها لكن وجه الطبيب الصارم قفز إلى مخيلته فتراجع.

تذكر نفس التحذيرات التى سمعها بصورة مخففة قليلاً من كوب الشاي وزجاجة المياه الغازية فلم يدر ماذا يطلب. تاقت نفسه لسيجارة مع فنجان القهوة.. فتمثلت الرغبة له وكأنها من أحلام الأيام السعيدة.. من الآن لا شىء من ذلك فوداعاً لكل لذائذ الحياة البريئة، أما اللذائذ المحرمة فقد تكفل إيمانه بحرمانه منها منذ زمن بعيد.. طال وقوف الجارسون أمامه فقال له وهو لا يكاد يعى ما حوله.

كوب من الماء من فضلك..



فاختفى الجارسون ليلبي الطلب متصوراً أنه سيأكل بعض الشطائر التي يحملها في المظروف الأبيض قبل أن يطلب الشاي أو القهوة.

متى بدأت متاعبه الصحية؟ لم يعد يذكر بالضبط.. كل ما يذكره هو أنه قد لاحظ على نفسه أنه يعاني من بعض الدوار حين ينزل من سيارة الأجرة، وكلما غادر المصعد في مبنى العمل، وأرجع ذلك إلى سرعة المصعد، لكنه لاحظ بعد ذلك أن نفس الدوار يفاجئه إذا نهض من مقعده فجأة أو أجهد نفسه في العمل، فاتصل بطبيب صديق له وشكا له من متاعبه، فطلب منه زيارته في المركز الطبي الذي يديره، وفي اليوم التالي استقبله الطبيب مرحباً وفحصه بسماعته ثم طلب منه ارتداء ملابس وعاد إلى مكتبه.. وأصلح هو من شأنه ثم جلس أمامه فقدم له الطبيب فنجان الشاي ودق الجرس فجاءت الممرضة وسألها:

أين الدكتورة منى؟

انصرفت منذ دقائق.

اتصلى بها واطلبي منها العودة للمركز.

ثم اتجه إليه وراح يحدثه في شئون الحياة كما اعتادا أن يفعلوا كلما التقيا، وحاول هو انتزاع نفسه من أفكاره ومجاراته الحديث بذهن غائب، وبعد دقائق عادت الممرضة لتبلغه بوصول الدكتورة منى،



فنهض وطلب منه مصاحبته، وغادر غرفة الفحص إلى غرفة أخرى قريبة، وقدمه للطبيبة الأخصائية في الفحص بالموجات الصوتية فإذا بها زوجته، وتذكر هو في هذه اللحظة أنه كثيرًا ما تحدث معها تليفونيًا دون أن يلتقيا، وتحدث الطبيب مع زوجته بالإنجليزية بضع عبارات مبهمّة، لم يستطع رغم معرفته للإنجليزية أن يحدد مدلولها ثم انصرف باسمًا. وطلبت منه الطبيبة خلع ملابسه عن النصف الأعلى من جسمه والصعود فوق مائدة صغيرة.. فامتثل طائعًا وسُحب الاكتئاب تتكثف داخله. من خبرته بالحياة عرف أن صحيح الجسم لا يحتاج إلى فحص طويل، وأن المريض وحده هو الذى يطول فحصه، ويتطلب الأمر استدعاء أخصائية من بيتها للاشتراك في فحصه. وجلست الطبيبة المتخصصة أمام جهاز الفحص وبدأت مهمتها.. ومضت فترة طويلة وهى مستغرقة فى عملها باهتمام، ومن حين لآخر تطلب منه أن يستدير لليساار أو للييمين وتغير من موضع جهاز الفحص على صدره، ثم انتهت أخيرًا من عملها وقالت له فى رقة: لا بأس ليس الأمر خطيرًا.. لكنه يتطلب بعض المتابعة الطبية!

هكذا تكون البداية دائمًا.. ليس الأمر خطيرًا.. لكن لا تأكل ولا تشرب ولا تسهر.. ولا تعش.

فى بؤرة الدوامة دار حول نفسه لفترة طويلة تنقل خلالها بين





عيادات الأخصائيين ومراكز الأشعة والتحليل. تضخم ملقه في عيادة صديقه الطبيب حتى أصبح يحتاج إلى حمال ليرفعه من مكانه. عاد إليه بعد الجولة الطويلة حاملاً معه النتائج النهائية، وجلس أمامه صامتاً ينتظر كلمة القضاء فيه.

تأمل صديقه الطبيب النتائج بملامح حيادية لا تنبئ عن شيء.. ثم نحّاهما جانباً وعقد ذراعيه على المكتب وهو يقول له باهتمام:

لن أخدعك وأقول لك إنك سليم معافى.. لكنى أيضاً لا أريدك أن تجزع وتفسد حياتك بالخوف.. فالحق إنك لست سليماً.. لكنك أيضاً لا تعتبر حالة حرجة.. وهناك "شيء ما" في حالتك يستدعى المتابعة الطبية مرة كل 6 شهور.. وخلال ذلك سوف تلتزم بالدواء التزاماً دقيقاً، وأريدك أن تتوقف على الفور عن التدخين وتناول القهوة وألا تشرب أكثر من فنجانين من الشاي كل يوم. أيضاً لا تمارس أى نوع من الرياضة سوى المشى لفترات قليلة.. وعش حياتك بعد ذلك باعتدال والتزم بطعام صحى، ولا ترهق نفسك بالعمل وتجنب الانفعال الحاد بكل الطرق، فلا تحزن لشيء حزيناً كبيراً ولا تفرح لشيء فرحاً طاغياً.. فكل أنواع الانفعالات السارة والمحزنة غير مطلوبة، وستكون النتائج طيبة بإذن الله. وسيتوقف على التزامك بهذه التعليمات إطالة الفترة التى تكتفى خلالها بالأدوية ولا نحتاج فيها إلى الجراحة.



سمع التعليمات صامتاً وصدره ينقبض تدريجياً.. خاصة حين جاء ذكر الجراحة.. الشبح الذى يترأى له فى أحلامه المزعجة منذ اكتشاف حالته، شكره بقنوط وانصرف. لا قهوة ولا شاي ولا سيجارة.. ولا انفعالات ماذا يبقى له من الحياة بعد ذلك؟ وكيف يتحكم الإنسان فى انفعالاته، وكثير مما حوله يدعو له للانفعال.

عاد إليه الجارسون فأحس بالحرَج وطلب فنجاناً من القهوة، وهو ينوى أن يبلل به شفتيه فيستشعر مذاق البن المحبب إليه ثم يدع الفنجان فى مكانه.

انصرف الجارسون ليلبى الطلب فعاد إلى نفسه.. وأفكاره. سيطوى صدره على أشجانه ولن يبوح بها لزوجته "سميحة" مهما كانت الأحوال. طبيعتها الانفعالية تمنعه من أن يشاركها معه فى همه الجديد، أو يشير إليه معها. خوفها المتأصل فى أعماقها من المجهول يفرض عليه أن يحتفظ لنفسه بهواجسه ومخاوفه ويعانيها وحده.. فى أوقات السعادة وقبل أن تظهر سحب الهموم فى الأفق كانت تبكى فجأة.. ويسألها منزعجاً عما يبكيها.. فتقول له بعد إلحاح:

تخيلت فجأة أنك تركتني وحيدة مع ياسمين.. فأحسست أنى ضائعة.. فى الحياة!



كان صحيح الجسم، والحياة واعدة بكل الخير.. وكانت خائفة دائماً من المستقبل.. فكيف يكون الحال إذا عرفت بأنه قد أصبح لديها ما تخشاه في الواقع عليه؟

ظروفها أكسبتها هذه الطبيعة الحزينة التي تستجيب لدواعي الخوف بأكثر مما تستجيب لعوامل الأمان.. منذ عرفها وأحبها أخذ على عاتقه مسئولية إشعارها بالأمان كل يوم وتبديد مخاوفها وهو أجسها.

نشأت وحيدة أبويها.. وانفصل أبوها عن أمها وهي صغيرة، فعانت مرارة الحرمان من حنان الأب ورعايته. وتزوجت أمها فتشردت بين بيوت أبيها المتزوج.. وجدتها.. وأمها.. لا تعرف الاستقرار في مكان واحد لأكثر من شهور ثم تحمل حقيبتها وترحل إلى مأوى جديد.. وماتت أمها بغير أن تنجب من زوجها الجديد فيكتها طويلاً.. وبكت أكثر لأنها لم تمنحها أختاً تستند إلى كتفه في رحلة الحياة. انقطعت صلتها بعد رحيلها بزواجها الأخير وأولاده، وبعد شهور من رحيل أمها توفيت جدتها فلم تخلع سواد الحداد وجفت منابع الدمع في عينيها. فاجأها بعد شهور أخرى أبوها بطلاق زوجته الجديدة وعودته للحياة معها في شقتها القديمة يائساً من تكرار التجربة فاطمأنت بعض الشيء، لكن رواسب الأكدار





استقرت في نفسها حتى النهاية، أمضت فترة الصبا والمراهقة تعيش مع أبيها.. وتقوم له بدور ربة البيت. تسأله عن أخواتها وأعمامها، فيجيبها بأنه لم يكن لأُمها إخوة سوى أخ واحد مات في الغربة، وليس له سوى شقيق واحد يعيش في قريته بأقصى الجنوب وتمضي السنوات قبل أن يلتقيا.

تتوق للأهل والأقارب والرفيقات، وتراسل ابنة عمها في بلدتها البعيدة وتسعد بردها وتحبها بغير أن تراها. عرفها هو وهي في عامها الأخير بالجامعة.. رشحتها له جارة طيبة لأبيها تعرف ظروفها وتحبها وتحنو عليها. قالت له:

فتاة طيبة ووحيدة وتحب الناس، وتقدم لخطبتها فرحب به أبوها ولمس بعد قليل قبولها له وحرصها عليه. فتمت المشاعر بتودة وعمق. وغلبته مشاعره بعد قليل، وفاتها بحبه فكأنما ضغط بيده على قشرتها الأرضية، فتفجر من تحتها ينبوع الحب المكتوم وأغرقه بطوفان من المشاعر. أحب أباه سريعا واستراح إليه وأحبه الرجل واطمأن إليه فقال له:

لم أنجب ابناً فكُن ابني الذي يحمي "أخته" من غوائل الحياة ويسعدُها. وقالت له هي بعد الزفاف:

أنت وأبي كل دنياي وأهلي فلا تتركاني وحيدة مهما حدث.. ومهما



"أخطأت" في حق أحدكما! فاحتضنها بإشفاق وطالبها بألا تتخلي هي عنه ذات يوم! وتعاهدا على ذلك.

لكن أباهما لم يحفظ "عهده" طويلاً.. فرحل عن الحياة بعد ثلاثة أعوام من الزواج أنجبت خلالها طفلتها الجميلة ياسمين، فسالت دموعها أنهاراً.. وفي غمرة أحزانها لم تنس أن تذكره بأنه قد أصبح "كل" أهلها وتطالبه بتجديد "العهد".

وبإصرار يعرف أسبابه حاولت أن تنجب مرة ثانية وثالثة، فلم يأذن الله لها باكتمال الحمل مرة أخرى. ونصحها الطبيب بعدم تكرار التجربة لخطرهما على صحتها فاستسلمت يائسة "وباكية" وهي تقول:  
تمنيت ألا تعيش "ياسمين" وحيدة كما عشت حياتي، لكن إرادة الله فوق كل شيء.

وخفف عنها شجونها بكل ما استطاع من حيلة. وشجعها على العمل لكي تحس بالأمان، وتقتنع بأنها تستطيع حتى في أسوأ الاحتمالات أن تعتمد على نفسها في مواجهة الحياة. لكن كأنها استقر الخوف في وجدانها ولم تعد تجدى معه وسيلة، لا تريده أن يغيب عن عينيها طويلاً ولو استطاعت لصاحبه إلى عمله.. أو اضطجبه معها إلى عملها. لا يستقر لها جانب في الليل إلا إذا سمعت حركة قدميه في الشقة، وأحست بأنفاسه إلى جوارها. تنام.. ولا تنام..

يتسلل إلى الفراش محاذراً إيقاظها، فما إن يستقر فيه حتى يحس لمس يدها لشعره.. ويسمع صوتها الهامس يقول:

تأخرت يا بابا!

فإذا أجابها مفسراً غيبته اكتشف أنها قد عادت للاستغراق في النوم أو بدأت بمعنى أصح استغراقها الحقيقي في النوم.

فكيف سيكون حال هذه "الخائفة" دائماً، التي تحتوى به إذا عرفت أن سندها الوحيد في الحياة مهدد بالخطر؟ لا لن يصارحها بشيء وسوف يخفى هذه الفحوص والأوراق عنها كما فعل طوال الأيام الماضية، وسيحتال عليها لإقناعها بأنه سيلتزم بنظام للأكل الصحي، ويمتنع عن التدخين والقهوة والشاي والمياه الغازية، لتخفيف وزنه بعد أن انتقده الأصدقاء لاتجاهه للبدانة. لكن هل ستقتنع حقاً بذلك؟. تأمل الموقف فتخيلها وهي تنظر إليه في شك وسحب الهموم تتجمع تدريجياً فوق جبهتها.. ثم تسأله فجأة: وما دخل القهوة والتدخين بالوزن الزائد؟..

وتحاصره بعد ذلك بالأسئلة والاستفسارات.. ثم تنفجر دموعها فجأة، وهي تصرخ كأنها اكتشفت "خيانته" قائلة:

يا ربى.. أنت عيان! قلبى قال لى ذلك منذ أيام.. ورأيت حلمًا





مخيفاً منذ بضع ليال.. رأيتك في سرير أبيض.. وأنا وياسمين نقف إلى جوارك..

ثم تولول وتنتحب وتردد على مسامعه ما سبق أن سمعه منها مراراً: يا ربى.. ماذا سأفعل أنا وياسمين لو جرى لك شيء؟

ثم تتدفق دموعها بلا توقف وتعجز عن الحركة من الفراش في اليوم التالى، ويتصل بعملها لإبلاغ زملائها بمرضها، ويعتذر عن عدم الذهاب إلى عمله، ويمضى اليوم إلى جوار فراشها وهو يقسم لها أنه بخير.. وأن صحته كالحديد وأن المسألة لا تعدو فكرة طارئة لإنقاص الوزن، ولن يتمسك بها إذا كان فى ذلك ما يطمئنها.. وهيهات أن تطمئن بعد ذلك، إلا إذا اتصلت "سراً" بصديقه الطبيب وسألته عن "الحقيقة".. وكررت الاتصال به مرات ومرات، ثم راقبته خفية فى كل حركة من حركاته حتى تهدأ هواجسها.

لقد كان حصيلاً حين لفت نظر صديقه إلى هذه المسألة.. وأوصاه إذا اتصلت به سميحة أن ينكر أنه زاره أو التقى به منذ أسابيع!

وسوف يعيد تذكيره بذلك حين يذهب إلى مكتبه غداً.. أما الآن فلن يصارحها بشيء.. ولن يعرض عليها رغبته فى إنقاص وزنه أو الالتزام بالطعام الصحى. بل وسيتناول إفطاره العادى ويشرب معها قهوة الصباح كالعادة فى مجلسهما بصالة الشقة كل صباح قبل

الذهاب للعمل.. وسيتناول معها كذلك طعام الغداء المؤلف في الرابعة مساء الذي تحرص على اجتماع شملهما فيه مع ياسمين كل يوم حرصها على حياتها، أما العشاء فقد تجدى بعض الجمل في الاعتذار عنه، وسيتناول الدواء في العمل فقط ولن يصحبه معه إلى البيت.. وليفعل الله بعد ذلك ما يشاء... نعم وليفعل الله ما يشاء وهو أرحم الراحمين.

واطمأن إلى ما انتهى إليه تفكيره في النهاية، فأشار للجارسون ونقده حسابه.. واكتشف وهو يفعل ذلك أن فنجانه الذي اعتزم أن يكتفى بتذوق رشقه واحدة منه. ليس به سوى "تنوه" القهوة في القاع ودوائر متشابكة ومتقاطعة من الخطوط على جدران الخالية، فتسللت ابتسامة حزينة إلى شفثيه وكأنها يهون الأمر على نفسه ويقول لها: مرة وفاتت.

ثم نهض مغادراً المقهى ووقف على الرصيف ينتظر سيارة أجرة.. ولوح لسيارة عابرة بالمظروف الذي يحمله فتذكر أمره وتساءل في قلق، ماذا أفعل بهذه "المصيبة" الآن ومبنى العمل مغلق في المساء.. وقبل أن يتوصل إلى قرار توقفت أمامه سيارة أجرة، فانحنى ليركبها وسقط منه المظروف على الأرض وهو يركب السيارة فنظر إليه لحظة وهمم بالتقاطه.. ثم تراجع وأغلق باب السيارة فقال له السائق منبهاً:



سقط منك "شيء" على الأرض.

فقال له وهو يتظاهر بالاستهانة:

إنها أوراق لا قيمة لها.. مدينة نصر.. من فضلك!





## الرجل الخطير!

اقتربت السيارة السوداء من رصيف محطة السكة الحديد، فانفلت منها قبل أن تتوقف تمامًا شخص عملاق رياضي الجسم، كان يجلس إلى جوار سائقها، وفتح بابها الخلفي فنزل منه رجل وقور في الخامسة والخمسين من عمره، يرتدى بدلة كحلية اللون أنيقة وينطق وجهه بالهيبة والجلال.. مضى الرجل في خطوات متزنة إلى المحطة يتقدمه العملاق مفسحًا له الطريق، وقبل أن يصل إلى رصيف القطار انضم إليهما شخصان آخران يمسك أحدهما بحقيبة أوراق صغيرة فحيا الرجل الوقور وسارا خلفه إلى عربة الدرجة الأولى. تقدم العملاق بين المقاعد يتفحص أرقامها باهتمام ثم توقف أمام أحد الصفوف وانتظر، وجاء الرجل الوقور وجلس في مقعد مفرد وجلس الآخران في المقعدين الزوجين المجاورين له، واطمأن العملاق إلى استقرارهم في مقاعدهم فجلس في مقعد مفرد خلف مقعد الرجل الوقور.

8

لفت المنظر انتباه فراش القطار فتقدم من الراكب الخطير، وحياه سائلًا عما إذا كان يحتاج إلى أي خدمة، فرد الرجل تحيته بتحفظ وصرفه شاكرًا. هدأت حركة الركاب في العربة.. ودوى صفير القطار إيذانًا بالتحرك.. ففتح الرجل الوقور



حقيبة أوراقه، وأخرج منها ملفاً راح يتصفحه بلا حماس.. جاء الكمبارى يتفحص التذاكر فما إن اقترب من صف المقعد الذى يجلس إليه الراكب المهم حتى امتدت له يد السكرتير بتذاكر المجموعة كلها فتفحصها ثم تفحص الراكب المتحفظ بعين مدربة، ورفع له يده بالتحية سائلاً عن أية ملاحظة له أو مطلب فشكره الآخر وعاد إلى ملفه. وبعد قليل أحس بأن هناك من يتطلع إليه فرفع رأسه فرأى راكبي الصف الأمامى ينظران إليه باهتمام كأنما ينتظران الفرصة لمصافحته أو الحديث معه، فقدرا أنها تعرفا عليه من صورته العديدة فى الصحف والتلفزيون، فهز رأسه لهما بتحفظ محسوب لكيلا يشجعهما على التقدم إليه بمطلب أو رجاء. وأحس العملاق الرابض خلفه بقرون استشعاره بما يدور فنهض واقفاً وهو يرمق الراكبين باهتمام، فأدارا وجهيهما وعزفا فيما يبدو عن المحاولة. خيم التحفظ على المكان كأنما سرت العدوى إليه من الرجل الوقور ومرافقيه، فلم تعد تسمع فيه صوت ضحكة رنانة أو حديث صاخب، وخلصت الأسماع لصوت عجلات القطار الرتيب، وفجأة انفتح باب عربة القطار بعنف واتجهت الأنظار تلقائياً ناحيته فإذا بكهل أسمر ضاحك العينين أصلع الرأس شديد الحيوية، يحمل فوق ذراعه مجموعة من المجلات القديمة، ينطلق كالصاروخ فى ممر العربة غير مبالي بشيء، ثم يبدأ



بالقاء خطبة قصيرة ضاحكة عن فضل كل شيء قديم على الجديد وكيف أن الزوجة القديمة أكثر إخلاصًا من الجديدة!.. والحذاء القديم يريح القدم أكثر من الجديد.. ولهذا فهو لا يبيع إلا المجلات القديمة!.. ثم يندفع عارضًا مجلاته على الركاب ويتبادل مع كل راكب كلمة ضاحكة يتحفه فيها بنكتة تنتزع منه الضحك أو الابتسام، ومضى ينشر المجلات والضحكات ويخلف وراءه الابتهاج إلى أن اقترب من الصف الخطير فنهض العملاق استعدادًا لإبعاده، لكنه لم يضطر إلى ذلك، فلقد ألقى الكهل الأسمر نظرة خاطفة على الرجل الوقور ومرافقيه، وأدرك الموقف في لحظة سريعة فتجاوز الصف كله والصف الذي يليه أيضًا ثم واصل اشتباكه الضاحك مع الركاب، إلى أن انتهى من العربة وهمّ بمغادرتها فاستدار خلفه ليرقب الرجل الوقور عن بعد كأنها أراد أن يتأكد من شيء ما، ففوجئ به يثبت أنظاره عليه، فأحنى الكهل رأسه مبتسمًا في حياء.. ثم استدار وغادر العربة بنفس حركته النشيطة.

إنه هو لا شك في ذلك.

قالها الرجل الخطير لنفسه وصدره يجيش بانفعال الذكرى.. ترى كم من الأعوام مضى على آخر مرة رأيته فيها؟





ليس أقل من أربعين عامًا بكل تأكيد.. عمر طويل تغيرت فيه الدنيا.. وتحددت المصائر وتفرقت الحظوظ بين رفاق الشارع القديم في حى الحلمية الجديدة، فمنهم من أصبح مستشارًا خطيرًا.. ومنهم من أصبح طبيبًا لامعًا، ومنهم من صادفه سوء الحظ فانزوى مغمورًا في إحدى الإدارات الحكومية، ومنهم من لم يزد نصيبه من الدنيا على بيع المجلات القديمة في القطارات كهذا الكهل الأسمر.. فهل كانت البدايات واعدة بهذه الحظوظ؟ لا يمكن الجزم بذلك فلقد كان هذا الكهل الأسمر الذى يبيع المجلات القديمة هو نجم شلتنا وزعيمها الطبيعى الذى نتقرب إليه، ونحس أمامه بالانبهار والعجز عن منافسته فى أى شىء، فهو زعيمنا الذى ندين له بالطاعة بلا مناقشة.. وهو رئيس فريقنا للكرة وأبرع اللاعبين والذى يحدد بكلمة منه مصير أى لاعب منا، هل يشارك فى اللعب أو لا يشارك، هو قائدنا فى التصدى لعدوان عصابات الشوارع الأخرى علينا.. وفى الثأر منها لأى "زميل" تعرض لعدوانهم، وهو بعد ذلك صانع الابتسامة فى حياتنا.. ومدبر كل المقالب الظريفة ضد الكبار أو ضد بعض أفراد الشلة نفسها ومفجر الضحكات عالية فى كل مناسبة.. ثم هو أيضًا نجم ليالينا الذى نتخلق حوله فيسيطر على وجداننا بحكاياته الساحرة



التي يحفظها عن جدته العجوز عن أبو زيد الهلالي وعنترة بن شداد..  
ومغامرات زورو وهارون "الرشيدي" وهو منظم دخولنا للسيرك  
حين يجيئ إلى حيننا.

كان فقيرًا للغاية حتى إن جدته التي كانت تتكسب ببيع الفول  
السوداني لرواد المقاهي عجزت عن إرساله إلى المدرسة.. ومع ذلك  
فقد كان يحس بالتفوق علينا جميعًا.. ويزدري ذهابنا كل صباح إلى  
المدرسة "كالأسرى" المغلوبين على أمرهم، ويحتقر خضوعنا  
الذليل "لجبروت" المدرسين.. ويشكر ربه أنه ليس له من يرغمه  
على قبول هذا الذل! وهو يعيش وحيدًا مع جدته العجوز، ورغم  
مكانته العالية فلم يكن يستخدم قوته البدنية ضد أحد منا، لكن عقابه  
لمن يغضب عليه كان أشد من الضرب، فقد كان يجعله هدفًا  
لسخريته اللاذعة فيصبح أمثلة للآخرين.

غريبة هذه الدنيا.. ترددت العبارة في رأس الرجل الوقور.. وهو  
يسترجع ذكرياته البعيدة ثم قال لنفسه متنهدًا:

كم بتُّ من ليالٍ باكيًا من سخرية هذا الكهل الأصلع الذي مر  
بجوارى منذ قليل ولم يجرؤ على الاقتراب مني.. وكم عشت أيامًا  
طويلة ذليلاً لمقاطعته لى أو استهزائه بي.. وكم حاولت رشوته



بالهدايا الصغيرة لكي يعفيني من السخرية أو الخصام، فكان يتقبل منى الهدايا ولا يغير من خطته معي، ولا يكف عن إعلان رأيه في للجميع مصرًا على إنى "غبي" و"عيل" سريع البكاء!

وأما قمة إيدائه لي، فلقد صار من "تراث" الشلة الذي يُروى في المناسبات ولصق بي عاره حتى بداية سن المراهقة. فقد أراد اللعين أن يؤكد رأيه في غبائي للآخرين، فأعلن لنا عن تنظيمه لمباريات في صفع القفا بين جميع أفراد الشلة، بحيث يتصافع كل اثنين وتحكم "لجنة" أيهما كانت صفعته أقوى من الآخر، وتحمس الجميع كالعادة لفكرته، وفوجئت به يختارني لأكون طرفًا في أول مباراة بيني وبينه، وسعدت بهذا التكريم.. وأحيت له رأسى طائعا ليتفضل هو ببدء الصفع؛ إذ ليس من المعقول أن أطالبه بالعكس.. فانهاى على قفاى بصفعة مدوية فقدت معها توازنى ثم تماسكت، ورفعت رأسى فوجدت الآخرين غارقين فى الضحك وهو أكثرهم.. واكتشفت أن الجميع يعرفون أنه يسخر من غبائى الذى صوّر لى إمكان تنظيم مباريات من هذا النوع أو أن أمد يدى بصفعة على قفا "الزعيم".. وانزويت خجلاً وقاومت البكاء بصعوبة بالغة حتى لا أتعرض للمزيد من سخريته، ورغم ذلك لم أكرهه بل كان دائماً موضع إعجابى وحسدى لجراته وخفة دمه وانطلاقه.





ثم اختفى هذا الشيطان فجأة من حيننا وأنا في نهاية المرحلة الابتدائية القديمة، وقيل إن جدته رحلت به إلى قريتها البعيدة، لكن تأثيره في شخصيتي لم يفارقني بعد ذلك أبداً، ففي المدرسة الثانوية خضعت طائعاً لزعامة زعيم المدرسة، وتقربت إليه بالهدايا والنقود لأحتمي به من سخرية الآخرين، وفي الوظيفة أيضاً فعلت دائماً نفس الشيء وتقربت من الأقوياء وخضعت لهم حين تخرجت وعملت، فانتقل قيادي دائماً من يد إلى يد حتى استقر في يد أمينة هانم زوجتي وكريمة مديري الذي نجحت في التقرب إليه وبفضل حمايته ونفوذه ترقيت قدماً في الوظائف القيادية.

لكن أمينة هانم تنمّدت في الاستهانة بي وتستغل ذعري القديم من السخرية أو الاستهزاء بي، فتسلط على لسانها اللاذع وكلماتها القارصة فيحمر وجهي خجلاً وأعجز عن الرد عليها.. ورغم محاولتي دائماً تجنب إغضاها والتودد إليها بالهدايا، فهي لا تنفك تسخر من ضعفي وعجزى واعتمادى عليها وعلى أبيها في كل شؤون الحياة.. فحتى أخطر القرارات العائلية تتخذها زوجتي دون اعتبار لرأى أو موافقتي، وإذا ما اعترضت زجرت في وجهي، وذكّرتني بأفضال أبيها وأفضالها عليّ في حياتي العملية؛ فزوّجت ابنتنا الكبرى وهي طالبة بالرغم من معارضتي الهادئة، ووافقت ابنا الأوسط على جنونه، فترك دراسة



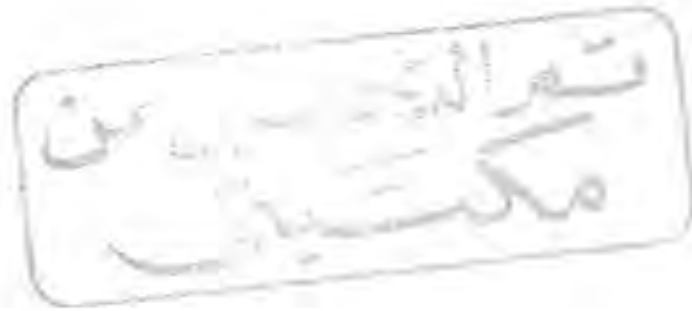
الطب بعد 3 سنوات منها ليدرس السياحة والفنادق، ووافقت وهو الأفعط ابنتنا الصغرى على نيتها للهجرة مع زوجها لأمريكا رغم فزعى من فكرة ابتعادها عنى وهى أقرب أولادى إلى قلبى.

ترى ماذا كان يفعل هذا الشيطان الأسمر لو كان زوجًا لأمنة هانم؟ أكانت تستطيع فرض إرادتها عليه كما فعلت معى؟ أكان صهره يستطيع أن يتحكم فيه معظم سنوات عمره كما فعل معى؟ لكى كيف انتهى به الحال بائعًا للمجلات القديمة فى القطارات.. وأين ذكاؤه وقدراته العجيبة؟

إنه لا يزال متألقًا بالصحة والبهجة وخفة الدم والقدرة على إثارة إعجاب الآخرين، فلماذا لم يتحدث معى كما تحدث لغيرى؟ ولماذا لم يتودد إلى كما يفعل الآخرون؟ ألا يدري "الغبى" أننى فى حاجة إليه لأتعلم منه بعض الجرأة والانطلاق وبعض القدرة على الرفض والمقاومة..

استغرق الرجل الخطير فى أفكاره فلم يتنبه إلا بعد حين إلى أن حارسه الشخصى ومدير مكتبه وسكرتيه يقفون أمامه فى أدب انتظارًا، لأن ينهض لمغادرة القطار.. فاستعاد نفسه سريعًا وأعاد الملف للحقيبة وسلمها لسكرتيه، ونهض فزرر الجاكت باهتمام ثم نظر

حوله بحرص، كأنها أراد أن يتأكد من أن أحداً لم يطلع على ذكرياته المخجلة.. ثم تحرك في وقار.. فتقدمه الحارس وغادر العربّة فوجد رئيس الشركة التي جاء ليفتح مبنها الجديد بالمدينة واقفاً بين أعضاء مجلس الإدارة في الانتظار ورحب الجميع به بحرارة واحترام!.





أخيراً اقتنع بأنه في حاجة ملحة إلى أجازة قصيرة وإلا ساءت العواقب. اتصل بصديقه حسين في الاسكندرية، وطلب منه أن يحجز له غرفة في الفندق الصغير القديم المطل على الشاطئ. تهلل صديقه للخبر وتساءل مبتهجاً عن الفترة التي سيقضيها معه، فأجابه بأن ذلك رهين باستعادته لهدوء أعصابه التي أرهقتها العمل وظروف الحياة.

صديقه حسين من أصدقاء الروح القدامى الذين يأنس لهم ويهرب إليهم كلما اشتدت عليه ضغوط الحياة. تزاملا في المدرسة الابتدائية والثانوية، ثم افترقت بهما السبل في الدراسة الجامعية واتخذ كل منهما لنفسه خطاً مختلفاً في الحياة، فعمل حسين موظفاً بشركة عامة في الاسكندرية وعمل هو محامياً في العاصمة المزدهرة لكن الصلة لم تنقطع بينهما أبداً، فكثيراً ما يلتقيان في المصيف.. وكثيراً ما يزوره حسين في القاهرة، حمل حقيبته الصغيرة وركب الأتوبيس الفاخر، وتأمل الركاب قليلاً ثم استسلم لأفكاره. فترات السفر طويلة ومملة لمن ليس له رفيق في رحلته.. وكذلك في رحلة الحياة! تأمل طويلاً زوجين شابين يجلسان في المقعد الأمامي ويسافران وحيدين فقال لنفسه - لم يأت الأطفال بعد فهنئاً للقلوب



الشابة رحيق السعادة الصافي قبل أن تخالطه الهموم. مالت الزوجة الشابة على كتف زوجها وأراحت رأسها عليه.. وغير الزوج من جلسته ليجعل من كتفه وسادة مريحة لها، فسرعان ما استغرقت الزوجة في النوم، وانشغل الزوج بقراءة الصحيفة مشبعًا بإحساس الرضا والأمان العاطفي، فراقبه بعطف وتمنى له النجاة من الأحزان!

تسلى بقراءة كتاب.. فراح يقرؤه بعقل غائب.. ويقطع قراءته بتأمل الزوجين الشابين كل حين. تنبه بعد قليل إلى أن جاره ينظر إليه متوددًا وراغبًا في الكلام، فتمنى لو أعفاه من عناء حديث لن يبدد من وحشته شيئًا. تظاهر بالاستغراق في القراءة ليسد عليه مداخل الحديث لكنه فوجئ بصوته يسأله:

تحب الأسكندرية؟

فأجابه باقتضاب من لا يرغب في وصل الحديث:

نعم.

ولم يكن ينتظر سوى هذه الإشارة، ليلتقط منها خيط الكلام ويبدأ حديثًا معاذًا مثلاً عن حبه للأسكندرية وحرصه على أن يقضى الصيف بها منذ سنوات شبابه، فسمع له بابتسامة متكلفة آملًا أن يكف عنه إلى أن يئس الرجل منه وانصرف إلى صحيفته.

وصل الأتوبيس إلى غايته فركب سيارة أجرة إلى الفندق القديم الذي شهد ذكريات العمر قبل أن تثقل القلب الأحزان. عشر سنوات كاملة لم يقرب خلالها منه ولا من المدينة نفسها.. فهل يذكره صاحبه العجوز؟ كان يأتي إلى هذا الفندق كثيرًا في الصيف وفي الخريف وفي الشتاء، وكانت زيارته في الخريف والشتاء أكثر وأمتع فيجد الفندق خاليًا.. والشاطئ جميلًا بغير زحام. لكن الحياة لا تمضي على حال واحدة طوال العمر. فسقيا لأيام السعادة الصافية..

قدّم نفسه لصاحب الفندق فرحب به بفتور وأعطاه مفتاح الغرفة، ولم يستجب لنظرته الودود، لكن بريق التذكر لمع في عينيه بعد قليل فقال:

أوه.. أستاذ عصام.. كيف لم أعرف الاسم مع أنني سجلته بنفسى؟ ثم استرد منه المفتاح الذي أعطاه له.. وقدم له مفتاحًا آخر لغرفة أمامية تطل شرفتها على البحر، فامتّن لتذكره له وحمل حقيبته إلى الغرفة. رتب ملابسه في الدولاب وخلع بدلته الكاملة.. واغتسل ثم ارتدى بنطلونًا خفيفًا وقميصًا، وغادر غرفته إلى بهو الفندق فطلب من صاحبه مقعدًا يجلس عليه على الشاطئ كما كان يفعل أيام زمان، ورجاه أن يخطر صديقه حين يجيء بمكانه، على الرمال وضع





مقعده وجلس يستروح هواء البحر.. ويصغى لصوت الموج ويتأمل  
قرص الشمس الأرجواني وهو يغطس ببطء في أفق البحر.

استغرق في تأمل موج البحر والزبد الذي يلقيه تحت أقدامه..  
فتعجب من دورة الموج الأبدية تبدأ عالية صاخبة قوية حتى تظن أنها  
تتحدى الزمن، ثم لا تلبث أن تشيخ وتستسلم للفناء ككل شيء في  
الحياة!

هكذا بدا له أيضًا أن حب "أميرة" له سيتحدى الزمن وسيفنى  
العمر قبل أن يفتى هو.. فما أبعد البداية الباهرة عن النهاية المستخرية.

قالت له حين تخرجها في الكلية وبعد عامين من الحب الطاهر:

الآن انتهى جهادنا الأصغر لحماية حبنا من الخصوم، وبدأ جهادنا  
الأكبر لتتويجه بالزواج.. فاستعد لأيام لا راحة فيها.

فقال لها: حين تحلو الأهداف.. يحلو الشقاء من أجلها.

وتحمل كل منهما نصيبه من الجهاد والشقاء راضيًا، فصمدت هي  
لمحاولات شقيقها الذي تعيش في كنفه بعد وفاة أبويها لتزويجها من  
زميل له جاهز بالشقة والإمكانات المادية، وتحمل هو سخرية شقيقه  
الأكبر الذي يضع يده على أرض أبيه الصغيرة من رغبته في الزواج قبل  
أن يبنى حياته، وحين ذكره بأنه قد تزوج في سن أصغر من سنه أجابه  
بقسوة.



من يملك إمكانيات الزواج من حقه أن يتزوج، ومن لا يملك ليس من حقه أن يفكر فيه!

وعبثًا بعد ذلك حاول أن يستخلص منه ثمن قطعة الأرض الصغيرة، التي تمثل نصيبه في ميراث أبيه مقابل بيعها له، وعبثًا حاول الاقتراض منه على إيراد السنوات القادمة.. وجاءه الجواب كالطعنة: تعليمك تكلف أكثر من إيرادك السنوي بكثير.. وستظل مدينًا بالفارق لعشر سنوات قادمة!

روى لفتاته محاولاته الخاسرة مع شقيقه "وصدمته" فيه، فخففت عنه كثيرًا.

ومن أعماق الأحزان.. استمدًا قوة جديدة لتحقيق أهدافها. عملت بإحدى الهيئات، وعمل هو موظفًا بالإدارة القانونية بإحدى الشركات.. وادخرا كل قرش كسباه معًا، وبعد عامين من التخرج لان شقيقها واستسلم لرغبة شقيقته، وبمدخراتها معًا قدم لها شبكة متواضعة لم يخف الشقيق استياءه منها. وفي مفكرة صغيرة دوّن كل قرش ساهمت به في ثمنها ليرده إليها حين يحقق نجاحه.. وعلى مدى عامين آخرين ازدحمت صفحاتها بديون أخرى لشقيقته الكبرى المتزوجة ولأصدقاء العمر بُورك في شهادتهم وفي مقدمتهم حسين، وفي اللحظة الأخيرة تعطف عليه شقيقه بمبلغ صغير اعتبره دينًا عليه.



وبمعجزة كمعجزات السماء تزوجا في شقة صغيرة نجحا في الحصول عليها بفضل مساعدة شقيق زوجته.

وقالت له حين أغلق عليهما باب غرفة النوم بعد الزفاف:

أحسُّ كأننا قد مشينا على الأقدام مشوارًا استغرق 6 سنوات فحذار من أن يفسد علينا شيء حياتنا التي كَلَّتْ أقدامنا من أجْلِها. فقبَّلها سعيدًا وممتنًا.

ولم يخفف الزواج من جفاف الحياة كثيرًا، فلقد استمر نقشهما بعده لردِّ الديون، وفي كل شهر يرصدان مبلغًا من مرتبيهما لسدادها ويتوجيه منها بدأ بديون الأصدقاء. بعد 4 سنوات نجحا في تسديد كل الديون وأرادا أن يحتفلا بتحررها منها.. فركبا القطار إلى الأسكندرية وأقاما في هذا الفندق الصغير، وأمضيا فيه أجمل أيام حياتهما، وأصبح بعدها هذا الفندق واحتها الصغيرة في الصيف وفي الشتاء وكلما امتلكا تكاليف الرحلة.

وعامًا بعد عام بدأت نسائم خفيفة من الرخاء ترطِّب جفاف حياتهما فزاد دخلهما تدريجيا.. وسبقته زوجته في الترقى في هيئتها ثم مات شقيقه وأبى أبناؤه أن يسلبوا عمَّهم أرضه فباعها لهم بمبلغ عادل. وبعقلها المتمرّن رتبت له أن يستقيل من وظيفته، ويشتري مكتبًا صغيرًا في وسط المدينة لبدأ حياته فيه كمحام حر.



وتحملت فترة التأسيس الأولى فنهضت بأعباء الأسرة بمرتبها وحده.. وعملت كمندوبة دعاية له في وسطها العائلي والاجتماعي ولدى المعارف والأصدقاء، وقال لها وهما يحتفلان بعيد زواجهما العاشر:

أنت سبب كل خير حققته في حياتي.  
فأجابته بمكر:

أرجو ألا تنسى هذا حين تجرى النقود في يديك! وأسكتها بقبلة على يدها ونظرة عرفان تُغنى عن كل كلام.  
وبعد عامين انتقلا من شقتهم البسيطة إلى شقة واسعة أثنتها بذوقها الفريد واحتفظ بشقته القديمة للزمن.

وحين بلغ الأربعين.. نظرت إليه في إعجاب وقالت له:  
ولا شعرة واحدة بيضاء في رأسك.. كأننا أتقدم في العمر وحدي!  
فاحتضنها مؤكداً لها أنه لا يرى فيها إلا بنت العشرين التي أحبها وهو طالب في الجامعة.

نظر إلى الموج الصاخب.. فرأى قارباً صغيراً عبارة عن لوح من الخشب الأبيض يعلوه شراع صغير، يقوده شاب وفتاة ويعتمدان في قيادته على توجيه الشراع يميناً ويساراً، ويتصاحكان في بهجة كلما أفلتا من موجة عالية كادت تعصف بشراعهما.. فقال لنفسه:



كل شراع يحتاج إلى اثنين متحابين ليحمياه من الأمواج الهادرة..  
فكيف غرق شراعه؟

ذات يوم دخلت مكتبه سيدة في الثلاثين من عمرها متوسطة  
الطول ممثلة في غير ترهل.. وردية البشرة.. بضّة الملمس.. وجهها  
وشفتاها الغليظتان دعوة مفتوحة للحب والغزل. فحقق قلبه حين  
صافحها وأحس باضطراب غير مفهوم. كانت في نزاع مع زوجها  
وتطلب الطلاق. ووجد نفسه يتحمّس لخدمتها وتكرر اللقاء  
بينهما.. وفي كل مرة يحس بأنه يهبط درجة أخرى في سلم الوفاء  
لزوجته، والأخرى تشجعه بخطوات محسوبة. ودهش كثيرًا حين  
عرف أن زوجها الذي تطلب الطلاق منه ليس زوجها الأول، وإنما  
تزوجت قبله وهي في العشرين وطلقت بعد عامين، وتزوجت من  
زوجها الذي تريد الانفصال عنه الآن ولديها من كل زوج طفل!  
وغاص في بحر الرمال الناعمة متعجبًا من ضعفه معها.. ومستخزيًا  
من نفسه ومن زوجته. وبعد عامين تزلزل عشه الصغير بالشقاق  
والفضيحة حين اكتشفت زوجته خيانتها لها، وأنه قد تزوج من  
الأخرى سرًا منذ عام! وبإحساس الشريك الذي طعن في ظهره ممن  
قدّم له كل شيء، لم تطلب منه طلاق الأخرى. وإنما طلبت منه  
بإصرار أن يطلقها هي! ولم تُجد معها محاولاته ولا ندمه ولا دموعه..  
ولا وساطة الأهل والأصدقاء.. وكان ردها الدائم عليهم هو:



لا عقاب لمن يخون حب العمر.. سوى الانفصال عنه!

حتى طلاقه للأخرى لم يحرك شيئاً في قلبها ولم يزحزحها عن طلب الانفصال. وطلقها باكياً.. وتخلّى لها عن المسكن الفاخر وأدى إليها حقوقها كاملة، وذهب للأخرى ليعلنها بأنه سوف يردّها، ففوجئ بها تطرده من الشقة وتتحوّل إلى نمرّة شرسة تخمش وجهه بأظافرها وتسبه بأفظع الألفاظ وتطلب منه أن يختفى من حياتها، لأنها لن تعيش مع "نذل" تخلّى عنها في أول محنة. فعاد إلى مسكنه القديم يعيش فيه وحيداً ثم لم تمض أيام حتى وصلتته عريضة الدعوى من زوجته الثانية تطالبه بالحقوق المادية، فتذكر يوم جاءته للمرة الأولى وتخيّل ساهماً ما سوف تتركه في نفس المحامي الآخر من أثر!

وشهراً بعد شهر انتظر أن تصفح رفيقة عمره عن خطيئته في حق الحب والوفاء لكنها لا تصفح ولا تنسى، حتى علاقة الزواج بغير عشرة أو حياة مشتركة حفاظاً على الشكل الاجتماعي وصالح الأبناء رفضتها بإصرار، فزهد في محاولة استعادتها واستسلم لحياته الجديدة وحيداً في الخامسة والأربعين، فضّل أبنائه الحياة مع أمهم على الانضمام إليه ولا يكاد يراهم إلا لمطلب مادي أو لشأن من شئون التعليم والحياة. ونصحه أصدقائه بالزواج فتزوج بالطريقة





التقليدية من مطلقة شابة، ولم تستقر سفينة زواجه أكثر من عام واحد غرقت بعده في بحر الشقاق وافتقاد الحب.

وبعد فشل زواجه ذهب إلى رفيقة حياته وقال لها:

الجرائم تسقط بمضى المدة.. وجريمتي قد مضت عليها 5 سنوات فدعينا نكمل مشوار حياتنا معًا.

ففاجأته بنيتها للزواج من أرمل زميل لها في العمل، وطمأنته إلى أن ولديهما راضيان بزواجهما وتركت له حرية القرار في ضمهم إليه أو تركهم معها.. ودعتهم لسؤالهما أمامه فاختارا الحياة مع أمهما.. وتلقى القلب طعنة جديدة.

وهدد بأن يستعمل حقه القانوني في ضم أولاده إليه، لكنه لم يصمد طويلاً لإحساسه المؤلم بأنهما سيعيشان معه راغمين فسلم بما يكره، وتعلق بالأمل الأكثر إيلاماً وهو أن تدفعهما احتياجاتهما المادية كشابين في المستقبل إلى العودة إليه!

وتزوجت شريكة عمره من الرجل الآخر.. ونظمت حياتها بين أولادها وزوجها، فلم يسمع بشكوى من الولدين رغم استجدائه النفسى لمثل هذه الشكوى!

وآله حتى الموت أن الآخر يتسلل ببطء إلى قلبى الصبيين، وأنه

كأرمل تزوجت ابنته الوحيدة يعاملها بعطف ويغدق عليهما من ماله فيئس حتى النخاع من استعادتهما، وقال لصديقه حسين حين زاره منذ شهور: إنها جريمة "سرقة" بكل المقاييس، لقد سرقا حياتي وحب أولادى.. فكيف يعجز القانون عن العقاب على هذه الجريمة؟ ونصحه صديقه بالزواج مرة أخرى وطالبه بالسحاح بأن يجيء إلى الإسكندرية لقضاء أجازة طويلة بعيدًا عن موطن الأحران. ولم تخل حياته بعد ذلك من علاقات نسائية عابرة لم تطفئ نار الألم في صدره، ولم تبدد وحشته فعزف عنها وضاق بكل شيء في الحياة. ثم صحا من نومه ذات يوم فلاحظ قطرات من الدم على وسادته، وأسرع إلى الطبيب مترعجًا، فقال له بعد فحص شامل:

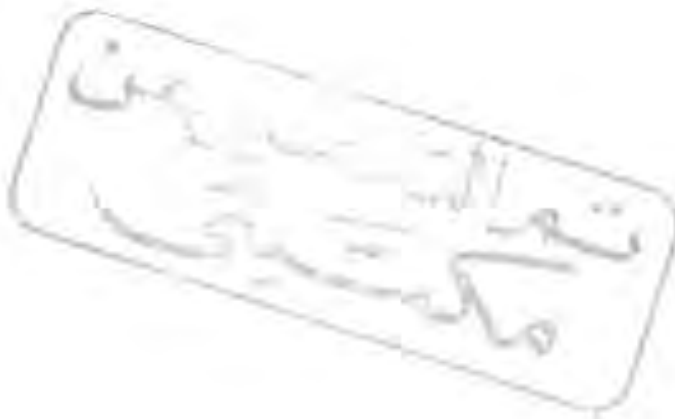
ضغط دمك انفعالى ومرتفع جدًا فكف عن التفكير فيما يؤلمك.. وخذ أجازة طويلة من العمل ومن كل ما يثير أعصابك.

وتوالت الفحوص فكشفت عن إصابته بالسكر واضطراب في ضربات القلب وأصبحت الأجازة ضرورة حياة.

فكر في السفر إلى الخارج وحجز لنفسه مكانًا في رحلة سياحية من رحلات الصيف إلى أوروبا، لكنه تراجع في اللحظة الأخيرة، وقرر أن يسافر إلى الإسكندرية وأن ينزل في نفس الفندق الصغير القديم، وأشفق على نفسه من قيادة السيارة فركب الأتوبيس إلى هذا المكان. أملًا أن تخفف عنه صحبة صديق العمر وحدته وآلامه.

وتنبّه من أفكاره فجأة على يد تمس كتفه فأدار رأسه ناحيتها متوقّعا  
رؤية صديقه القديم، لكنه فوجئ بمنظر زميل قاهرى يقف مرتديا  
الشورت وفي يده الأخرى سنارة صيد وهو ينظر إليه باسمّا وقائلاً:  
تستمتع بمنظر الغروب على شاطئ البحر؟.. ما هذا "الروقان"  
كلّه؟

قبسط كفه إليه باسمّا بلا كلام كأنها يقول له: كما ترى.





## حديث في الليل

جاء إلى مكتبه متأخرًا بعض الشيء، فلاحظ كثرة عدد زواره المنتظرين للقاءه هذا المساء. حيّاهم تحية متعجلة ودخل إلى غرفته. وضع حقيبته الجلدية السوداء على منضدة قريبة وفتحها وأخرج منها أوراقه ووضعها على المكتب، وجاءه الساعى بفنجان القهوة فاحتساه ببطء ثم رفع سماعة التليفون، وطلب من وكيل مكتبه إدخال الزوار. كانت أولى زائراته سيدة جميلة متوسطة العمر حيته بابتسامة حزينة فرد تحيتها باحترام. ودعاها للجلوس ثم عقد ذراعيه أمام صدره وتوجه لها بكل اهتمام مشجعًا لها على الكلام.

بدأت حديثها خافضة الرأس فروت له قصة خلافها مع زوجها الذى عجزت عن احتمال نزواته وخياناته ومشاجراته الدائمة معها، فطلبت منه الطلاق، ورفض طلاقها إلا إذا كتبت له تنازلاً عن كل حقوقها، فاستجابت لرغبته، وكتبت له التنازل المطلوب، لكنه تهادى فى إذلالها فطلب منها أيضاً أن تكتب له تنازلاً عن أولادها الصغار، وفى لحظة يأس من كل شيء كتبت له هذا التنازل مضطرة.

وبكت وهى تسأله هل يعنى ذلك حرمانها حقاً من أطفالها؟ لقد احتملت حياتها معه عشر سنوات حتى الآن من



أجلهم فهل تضيع تضحيتها عبثاً؟ وكيف تحتمل الحياة دون أطفالها.. وليته بعد ذلك كان قادراً على رعايتهم.. إنه رجل عابث لا يستطيع تحمل مسؤولية نفسه، فكيف سيتحمل مسؤولية أطفال صغار يحتاجون إلى الحب والعطف والاهتمام؟ إنها لا تريد من زوجها شيئاً.. ولا حتى الشقة التي تعيش فيها ومن حقها البقاء بها حتى انتهاء حضانتها للأطفال، فهي مستعدة لأن تتركها له بشرط أن تضم أطفالها إليها في مسكن أمها الذي تعيش فيه وحيدة، وليسعد هو بالشقة التي وضعت كل مدخراتها فيها وصنعت منها عشاً جميلاً كانت تحلم بأن تنعم فيه بالسعادة. وتوقفت عن الكلام لحظات جففت فيها دموعها ثم سألته:

هل أستطيع يا أستاذ أن أحصل على الطلاق بغير التنازل عن أطفالي؟ إن زوجي يستغل ضعفى لأنى وحيدة لا أخ لى يتصدى له، فهل تستطيع أن تساعدنى فى ألا يحرمنى من أطفالي؟ وسالت دموعها غزيرة مرة أخرى فصمت احتراماً لمشاعرها.. ورق قلبه لجمالها الحزين وقال لنفسه.. كيف يمتهن رجل سوى هذا الجمال المريح ويبحث عن نفسه، عن سلوى بعيداً عنه؟ وقطع تأملاته بقوله لها:

سأفعل كل ما أستطيعه لك يا سيدتى.. وسأبدأ بالاتصال بزواجك ودعوته للقائى.. وسأحاول التفاهم معه بالحسنى قبل أن تبدأ

النزاع القضائي، وآمل أن أنجح في تسوية الأمر معه ودياً وبعيداً عن المحاكم فاتركى لدى الوكيل رقم تليفونه وكل بياناتك وعنوانك.. ولنأمل خيراً بإذن الله.

فسرت كلماته الواثقة إلى روحها المتلهفة إلى ما يطمئنها مسرى مريحاً، ونظرت إليه بامتنان وشكرته بحرارة.. ثم همت بالكلام مرة أخرى فبدت له مترددة ومخرجة بعض الشيء، وخمن هو بخبرته ما أثار ترددها فبادرها قائلاً في سماحة:

لا شيء! ليس هناك أتعاب الآن أو حتى إذا نجحت في التوصل لحل ودى مع زوجك بغير رفع الدعوى.

فقاطعته مخرجة:

ولكن يا أستاذ!

فأجابها مؤكداً:

لا شيء فعلاً كما قلت لك، فإنه يرجئني أن أسعد قلب أم لهفى على أطفالها مثلك، وكل ما أرجوه هو أن أنجح في التفاهم مع زوجك. فرفعت رأسها إليه شاكرة وقالت له:

يا إلهى ليس من فراغ حقاً ما يقولون عنك!





فابتسم للمرة الأولى وسألها باهتمام:

وماذا يقولون يا سيدتى؟

قالت:

يقولون إنك آية في الحكمة.. والنزاهة.. والإنسانية وإنك تفضل حل المنازعات الزوجية بالود ولو خسر مكتبك القضية.. وتضع مصلحة الأطفال فوق كل اعتبار وتحاول بإخلاص إثناء من يلجأون إليك عن المضي في نزاع الطلاق مراعاة لصالح أطفالهم. وقد كان هذا ما جاء به إليك فرأيت كل ذلك وأكثر، فتولاه خجل غريب وقال لها ممتناً:

شكراً لك.

ثم صافحته باحترام وغادرت المكتب.

وتوالى دخول الزوار بعدها، فاستقبل أباً يريد أن يقيم دعوى نفقة على ابنه المهندس الكبير الذى يتنصل من مسئوليته عن أبيه الشيخ بدعوى أن نفقات أولاده تستهلك كل دخله، وأن معاش الأب الضئيل يكفيه، واستمع فى صبر إلى حديث الأب الطويل عن تضحياته، لكى يعلم هذا الابن ويحصل على أعلى الشهادات، وحرمانه لنفسه من ضروريات الحياة لكى يوفر له تكاليف الدراسة



بكلية العملية، واستبداله لجزء من معاشه لكي يساعده على بدء حياته.. والآن يضمن عليه بالقليل بدعوى أن معاشه الذي لا يزيد على جنيهاً تكفيه.. هل يجوز هذا يا أستاذ؟ هل يجوز يتركني في هذه السن أتردد على المستشفيات الحكومية وأبحث عن العلاج المجاني، وهو وأولاده يركبون السيارات، وبعد كل ذلك يضيق بزياراتي له، ويطلب مني ألا "أرهق" نفسي بالحضور إلى بيته كثيراً، وإذا مرضت وطالبته بشيء من النقود للعلاج لا يقدم لي إلا أقل القليل؟ هل هذا عدل يا أستاذ؟

وبكى الشيخ.. فتمزق قلب الأستاذ عطفاً عليه وطيب خاطره ووعدته بأن يرسل إلى ابنه إنذاراً بتخصيص مبلغ عادل لأبيه كل شهر مع تحمله لكافة تكاليف علاجه.. فإن لم يستجب فسوف يقيم الدعوى عليه ويكسبها له بإذن الله. واستراح الأب الشيخ لكلماته وشكره بحرارة عليها ودعا له طويلاً بطول العمر وبر الأبناء به في كبره وبسعادة الدنيا والآخرة، ونهض المحامي الناجح ليودعه حتى باب المكتب وهو يطلب منه ترك بياناته لدى وكيله وتلقى منه الشكر مراراً.. وتكراراً.. وهو يتسم خجلاً إلى أن غادر المكتب راضياً وتوالى الزوار.. واستمع إلى كثير من المنازعات والخلافات وبدأ للجميع صوتاً للحكمة ورمزاً للرشاد والاتزان النفسى، والاستقرار وقالت له إحدى زائراته مادحة وهى تغادره:



هنيئًا لمن كنت لها زوجًا وشريك حياة، وأنت بهذا الخلق الطيب  
وهذه الروح السمحة وهذا العقل الراجح!  
وكال له آخرون الشناء بلا تحفظ.

وغادره آخر الزوار في الساعة الواحدة صباحًا.. فجمع أوراقه  
وحمل الساعى حقيبته إلى السيارة، وودع وكيل المكتب والسكرتير  
وانصرف محاطًا بالاحترام والإعجاب.

عاد إلى بيته فأدار المفتاح في باب الشقة ودخل فواجهه ظلام  
المسكن. أضاء نور الردهة الأمامية.. ثم الصالة ودخل غرفة نومه  
فخلع الجاكيت وألقاه بلا اهتمام على الفراش الخالى.. وبدأ يخلع  
ملابسه فتذكر وهو يرى ملابسه مبعثرة في كل مكان صوت السيدة  
التي قالت له هذا المساء: هنيئًا لمن كنت لها زوجًا! وقال لنفسه  
صامتًا:

لم يكن هذا رأيها، وإنما شكت دائمًا من سوء حظها الذى أوقعها  
فيه من بين كل الرجال، وندبت مرارًا غفلتها حين خُدعت بالحب  
وتزوجته، فكشفت لها عشرته كما تقول عن شخص آخر! وأنكرت  
عليه كل فضيلة وحتى مزاياه التي يمدحه بها الآخرون، عدتها عليه  
عيوبًا يصعب احتمال الحياة معها، فالعقل والصبر.. برود.. والاتزان  
لامبالاة بحقوق الزوجة "الصابرة"، و"الأمانة" في العمل تفريط في





حقوق الأولاد ومقبلهم من أجل أن تخرج من عنده سيدة فارغة  
العقل مشيدة بإنسانية الأستاذ الكبير!

أما عند الخلاف فتنتلق قذائفها غير مفرقة بين طيب وخبيث  
حتى إنه كثيرًا ما شك في جدوى الفرق بين الخير والشر.. فكل ما  
ينبغي أن يحسب له ويشكر عليه عند المنصفين تحسبه عليه  
وتلومه عنه. ومن حين لآخر تأخذ طفلته الوحيدة وتعود إلى بيت أبيها  
دون سابق إنذار وبلا خلاف أو شجار. ويسألها لماذا؟ فتجيب:

أعصابي.. أريد أن أريح أعصابي بعض الوقت.

ثم يعيش وحيدًا يفتقدها ويفتقد ابنته لفترات طويلة، وكلما زارها  
ليرى ابنته ويدعوها للعودة إلى بيتها طلبت التأجيل. ولم تهتم حتى  
بسؤاله عن أحواله في غيابها! وشكا لأختها بما يلاقه معها وما تتهمه  
به من اتهامات ظالمة فقالت له مؤاسية: لا عيب فيك.. لكنها مدللة  
وتريد من الجميع أن يتركوا حياتهم ليتفرغوا لتدليلها، فتحملها من  
أجل ابنتك ومن أجلها هي أيضًا فهي تحتاج إليك وبغير حمايتك لها  
سوف تضيع.. نعم تحمل فهذا قدرك.. هكذا قال له أيضًا أبوها  
وهكذا يقول له الجميع فيستسلم مرغمًا.. ويتنظر في صبر انتهاء  
الزوبعة الطارئة وعودة الحياة لصفائها. ويستمتع بالقليل الذي تسمح



به طبيعتها من العطاء، ويقول لشقيقه كلما حثه على أن يطلقها ويتزوج  
من تتباهى به وتكرس له كل حياتها:

لا أريد لا بنتى أن تنشأ ممزقة بينى وبين أمها.

ويواصل الحياة معها صابراً.. ومترقباً هبوب العاصفة القادمة التى  
لن تنبئ بها للأسف أية مقدمات!

ويقارن كلما ضاق صدره بين حالها وحال الزوجات الكثيرات  
اللاتى يتولى قضاياهن، ويتحسر حين يلمس ماناهن من امتهان  
وتعذيب وخيانة على أيدي أزواجهن، ومع ذلك فقد بذلن المستحيل  
لكى يحتملن الحياة ويحتفظن بهؤلاء الأزواج.. فيتساءل لو كنت زوجاً  
كهؤلاء الأزواج هل كانت ستفعل معى ما تفعله الآن؟

انتهى من خلع ملابسه فارتدى البيجامة، وغادر غرفة النوم إلى  
المطبخ، لم يتناول طعاماً منذ الظهر ولم يشرب سوى القهوة والسجائر  
طوال المساء. فتح الثلاجة وأخرج علبة الجبن وقطع التوست وراح  
يزدرد طعامه بلا رغبة ثم حمل كوب الشاي وعاد إلى الردهة.. حاول  
أن يقرأ فوجد نفسه شاردًا عما يقرؤه، وضع فيلمًا جديدًا فى الفيديو  
وجلس أمامه، فاكتشف بعد نصف ساعة أنه لم ير شيئاً منه فأوقفه  
ودخل إلى غرفة النوم استلقى على فراشه، وحاول النوم فأطل عليه



وجه ابنته الحبيب من ظلام الغرفة ورن في أذنيه صوتها الرقيق وهي تقول له في آخر زيارة:

أريد أن أذهب معك ومع ماما إلى "الزرافة"!

لم يذم الصفاء طويلاً منذ جاءت طفلة إلى الحياة وفي نوبات الهدنة القصيرة من التعاسة، كانا يخرجان مع طفلهما إلى حديقة الحيوان ويقفان بها طويلاً أمام الزرافة التي استهواها منظرها الفريد.. وتذكر ألمه حين سألها أن تخرج معه إلى الحديقة تلبية لطلب ابنتها فاعتذرت بعدم رغبتها في ذلك ونصحته بأن يذهب بها وحده! تأكد من أنه لن يستطيع النوم بغير القرص المهدئ.. فنهض من سريره متثاقلاً وابتلع قرصين. أغمض عينيه مرة أخرى محاولاً النوم.. فلم يقترب منه النعاس، وأحس برغبة ملحة في أن يُحدث أحداً ويفتح له قلبه ويبثه شجونه وهمومه.. فإلى من يتحدث في هذه الساعة!

شقيقه الوحيد ينام مبكراً وسوف ينزعج بشدة إذا اتصل به الآن. وأصدقائه جميعاً غارقون الآن في النوم إلى جوار زوجاتهم.. ورنين التليفون في مثل هذه الساعة إزعاج يصعب الاعتذار عنه. أما شهير صديقه الوحيد الذي مازال أعزب يعيش وحيداً ولا تزعجه اتصالاته المتأخرة، فهو مسافر وسوف يطول غيابه أسبوعين آخرين.. بمن



يتصل الآن؟ اهتدى أخيراً لمن يستطيع الاتصال به في هذا الوقت المتأخر بلا حرج، ف جذب سماعة التليفون إليه وهو راقد في فراشه وأدار القرص وبدأ يتحدث هامساً:

مساء الخير.. آسف للإزعاج في هذا الوقت المتأخر من الليل.. لكنني ضيق الصدر الآن وأريد أن أتحدث معك لفترة قصيرة.. لأعرف ماذا انتابني هذه الأيام فلم أعد أستطيع النوم، وشهيتي للطعام مفقودة.. وأدخن بشراهة وأسرف في شرب القهوة، وأشرد كثيراً كلما وجدت نفسي وحيداً في فراشي خلال الليل، وأراجع حياتي لأعرف ما هو الخطأ في شخصيتي أو تصرفاتي الذي حرمني من حقي في أن تكون لي حياة مستقرة سعيدة كغيري من الناس.. فلا أجد شيئاً محدداً. ماذا تقولين؟.. نعم.. نعم ربما يكون سوء حظي في الحياة أو أنني أحببت من لا تحبني.. أو لعلها تحبني ولكن أقل مما ينبغي كثيراً.. فضلاً عن أنها مدللة.. وعصبية لا تعترف بخطأ.. ولا تقدر مشاعري كزوج وكأب. تصوري أنها تركت البيت منذ شهور لمجرد أنني بعد عشر سنوات كاملة من الاحتمال فقدت أعصابي معها مرة واحدة وصحت فيها لكي تكف عن الصياح والشجار بلا سبب بعد منتصف الليل.. فزادت من الصياح فوضعت يدي على فمها لأسكتها فاعتبرتني أضربها، وملأت الدنيا عويلاً



وبكاء وصراخاً، وفضحتني بين أهلها وأهلي والجيران، وفي الصباح حملت ابنتي وعادت لبيت أبيها، وقالت إنها ستبقى فيه حتى تنسى ما فعلته معها! وتمضي الأيام دون أن تتصل بي تليفونيا أو تسأل عني.. وأزورها وأدعوها للعودة إلى بيتها فتقول لي إنها لم تنس بعد! وأسألها ما ذنب طفلتنا في أن تحرمها من أبيها فتقول لي: ذنبها أنني أبوها!

هذه هي جريمتي التي تركتني من أجلها منذ شهر هل تصدقون ذلك؟.. مرة واحدة فقط لم أستطع فيها الاستمرار في تحمل صوتها العالي الذي يسمعه الجيران بعد منتصف الليل.. فصحت فيها ووضعت يدي على فمها. هل ارتكبت جريمة لا تغفر حين فعلت ذلك؟ أليس من حقى أن أثور مرة واحدة في عشر سنوات وهل يبرر ذلك كل ما حدث؟. نعم أستطيع أن أطلقها وأستطيع أيضاً أن أتزوج غيرها وربما أفضل منها، لكن ما ذنب ابنتي.. وما ذنبي أنا لكي أدفع ثمن تدليلها ومزاجها العصبى.. و... و...

وواصل الحديث الهامس فترة طويلة.. ومن حين إلى آخر يجيبه الصوت النسائي في "الساعة الناطقة" التي أدار رقمها برتابته المعهودة:



الساعة الآن الرابعة وعشر دقائق وثلاثون ثانية!

الساعة الآن الرابعة وعشر دقائق وأربعون ثانية!

... وكلما انقطع الاتصال أدار نفس الرقم من جديد وواصل

الكلام في تأثر.. واهتمام!.





لم تكن جميلة ولا جذابة بمقاييس الجمال والجاذبية المألوفة.. لكن روحها كانت تشع طيبة وعطفاً وتسامحاً، لهذا لم تشعر كثيرًا بالمرارة لافتقارها إلى المال.. وإنما سلمت بالأمر الواقع وتقبلته وحاولت أن تعوضه بروحها العطوف وعشرتها المخلصة للجميع.

وكانت على استعداد دائمًا لأن تتنازل عن كثير من مطالبها في فتي الأحلام، وتتحدث عن ذلك بصراحة مع أمها، وتقول لها حين تتمنى لها كعادة الأمهات "أفضل العرسان": وماذا يجد عندي أفضل العرسان مما يبحث عنه لدى الفتيات.. وملامحى ليست جميلة وشعرى خشن وجسمى غير متناسق، ولست ثرية فيعوضنى الشراء عن نقص الجمال؟ فتسكت أمها متألّمة.. وتدعو لها فى سرها بأن يوفقها الله إلى من يتجاوز عن مظهر الجمال ويطلب جمال الروح وطيبة القلب..

11

وتخرجت فى كليتها.. وعملت بإحدى الهيئات.. وجمعها العمل بزميلات وزملاء جدد سعدت بزمالتهم.. وبدأت لهم دائماً قلباً مفتوحاً يرحب بالغرباء ويتلهف على الصداقة الخالصة.. وتلاقت ميول بعض الزملاء والزميلات



ففي العمل فانسجت قصص حب.. وبدايات زواج ولم يقترب منها أحد يطلب حبها وعواطفها المكبوتة.. وبدلاً من أن يكون لها سر شخصي تعتر به وتؤثر به الصديقات المقربات، وجدت نفسها بعد فترة موضع ثقة الرجال والفتيات من زملائها وموضع أسرارهم.. يرجوها كل راغب في الزواج أن تكون سفيرة إلى من يطلب ودها من زميلاتهن، فلا تقبل أن تؤدي المهمة إلا إذا تأكدت من صدق نياتهم، وتقوم بالمهمة بأمانة، وتسعد بنجاح مسعاها حين تدعى لحفل الخطبة التي كانت واسطة الخير فيها.. وتتحدث لأمها مبتهجة بما فعلت.. فتشعر الأم بغصة في صدرها.. وتقول لها: تسعين بالخير بين الناس ولا يسعى لك أحد!.

فيتعكر صفوها للحظات.. لكنها تهز رأسها بعد قليل طاردة الهموم والوساوس وتعود لطبيعتها الطيبة.

كان في إدارتها ثلاث فتيات تزوجن جميعاً أو خطبن لزملاء في نفس الإدارة أو من الإدارات الأخرى.. وكانت هي سفيرة الخير إليهن جميعاً وبقيت صديقة للجميع، ولكن بغير أن يقترب منها أحد وارتبط الشبان في إدارتها جميعاً بزميلات من الهيئة أو من خارجها، وبقي واحد منهم صمد للإغراءات، وعزفت عنه فتيات الهيئة وبررن فسلهن معه بغروره بوسامته.. واعتزازه بأسرته وإمكاناته المادية التي



أورثته إحساسًا بالتفوق على زملائه.. فهو وارث بين زملاء مكافحين يملك قطعة من الأرض الزراعية وبيتًا قديمًا يدر عليه عدة مئات من الجنيهات سنويًا وسيارة صغيرة قديمة.. وصدقت تنبؤات زميلاته له بأنه لن يتزوج من مجتمع العمل، وإنما من فتاة باهرة الجمال يتباهى بها في وسطه العائلي.. ففي نهاية العام الثاني من عملها رأت دبلة الخطبة في أصبعه.. وتهامست الزميلات عمن عساها تكون خطيبته.. لكنه لم يتحدث عنها لأحد إلا لزميلته طيبة القلب "سميحة" التي تحظى بثقته، فعرفت منه أنها فتاة جميلة من أسرة ثرية تعرّف بها في النادي الذي ورث عضويته عن أبيه، وتقرب منها حتى مالت إليه وقبلت خطيبته..

وتوالت أخباره عليها.. تمت الخطبة والشبكة.. طلبت أسرتها مهرًا باهظًا.. واشترطت خطيبته عليه أن يبيع شقته الحالية، ويشتري شقة أخرى من 5 غرف في الحي الراقي الذي تسكن فيه.. باع آخر قطعة من الأرض التي ورثها عن أبيه.. واشترى الشقة المطلوبة بمبلغ خرافي، ولم يبق له من ميراثه سوى بضعة آلاف من الجنيهات يحتفظ بها في البنك ويستعين بعائدها وإيراد البيت القديم على نفقات حياته، وتم الزواج ودعاها إلى زفافه وحدها من بين زميلاته. فرأت عالمًا جديدًا من البشر المتألقين في الملابس الفاخرة والنساء اللامعات بالجواهر الثمينة، سافر مع عروسه إلى البحر





الأحمر لقضاء شهر العسل، وعاد مبتهجًا متألقًا بدماء الصحة ورواء السعادة.. لكن سماءه تكدرت بغيوم المشاكل بعد شهور قليلة من الزواج وأسر إليها بهمومه متشكيًا: مدللة إلى أقصى حد.. لا تحتمل كلمة عتاب واحدة وتغضب لأتفه سبب.. وتهجر وتغلق دونه باب غرفتها.. عصبية تتفجر بالسباب واللعنات عند أول بادرة خلاف.. تترك البيت وتعود إلى أسرتها وتطلب الطلاق، ولا تعترف بخطأ ولا تعتذر عنه.. وتنتظر منه دائمًا أن يبدأ بالصلح والاعتذار. مسرعة إلى حد الجنون.. ولا تنفق من مالها قرشًا واحدًا وتعيّره بقلة دخله وتقارنه بأزواج شقيقاتها وقريباتها الناعمات بثناء أزواجهن.. وينفذ مرتبه وعائد مدخراته في البنك وإيجار البيت القديم في الأسبوع الأول من الشهر.. وتطلب منه المزيد فيسحب من رصيده الذي يدخره للزمن ليعطيها رغم حاجته لعائد هذا الرصيد.. وهي تسمع له وتتألم وتشير عليه وتتعاطف معه..

وتحكي لأمها عن زميلها الوسيم الذي كان موعودًا بأفضل الحظوظ، فإذا به يعاني مع زوجة مدللة أنانية، فتقطع عليها أمها استرسالها متسائلة ولماذا لم يتزوجك.. وأنت أعقل الفتيات؟

فتهز رأسها مستبعدة الفكرة وتقول لها:

يا ماما أين أنا منه.. وهو الذي رفض زميلاتي الثلاث الجميلات، ولم تنجح إحداهن في اجتذابه إليها؟ ويوم يجيئ إليها ساهمًا، ويسر



إليها أنه قد طلب أجازة من عمله ليسافر للعمل في دولة عربية لكي يستطيع أن يفي بمطالب حياته المرهقة مع زوجته، فتقول له:

دخلك يكفي لحياة كريمة لكن لا بأس بالكفاح في سن الشباب؟.

وغاب عن إدارتها عامًا كاملاً.. ثم ظهر فيها فجأة وكأنها قد زاد عمره عشر سنوات، وتجدت ملامحه الوسيمة، وتهللت الوجوه لرؤيته وتواصل حديث الذكريات لفترة.. ثم تشاغل الزملاء بشئونهم.. فحمل فنجان القهوة إلى مكتبها وجلس أمامها راغبًا في الحديث.. وسأله عن الأحوال فراح يروي لها في أسى أنها تزداد سوءًا.. وأن زوجته رفضت أن تلحق به في مقر عمله كما اتفق معها في البداية، ثم ثقلت عليه الوحدة فألح عليها في اللحاق به، وجاءت إليه فلم تحتمل البقاء معه سوى شهر واحد لم يخل من شجار ومنغصات، وأمضت معظمه في سوق المدينة تشتري وتختار الملابس والهدايا، واستهلكت معظم مدخراته عن العام الأول في مشترياتها ونفقات سفرها.. ثم أصرت على ألا تنتظر أجازته السنوية، وعادت ساخطة على جفاف الحياة في مقر عمله، وعاد هو في أجازته بالنزير اليسير من المدخرات فطالبته بشراء شقة في المصيف! وغضبت حين اعتذر بعجز مدخراته عن تلبية مطلبها.. وتكدرت أيام الأجازة التي انتظرها طويلاً وحتى الآن ترفض



الإنجاب.. وتطالبني بالانتظار ثلاثة أعوام أخرى حتى أعود للاستقرار في مصر لكي أكون إلى جوارها في فترة الحمل!.

وقالت لنفسها: نعم كان معترًا بوسامته وإمكاناته النسبية وسط مجتمع من البائسين، لكنه لا يستحق هذا الحظ العاثر.. فهو طيب في النهاية ولا يضر شرًا لأحد..

وغاب أسبوعين ثم ظهر مرة أخرى في الإدارة شاردًا متوترًا، كأنها لم ينم ليلته، وطلب منها أن تدعوه إلى فنجان من القهوة.. وتشاغل عنه الزملاء فسألته عما به فأجابها: انتهى كل شيء منذ يومين.. رفضت السفر معي.. وطلبت الطلاق.. وأهانني لمطالبتى لها بالسفر معي فطلقتها فأخذت كل شيء.. كل شيء مما لها وما ليس لها وتركت الشقة على البلاط.. وأنفقت كل ما بقى معي من مدخرات العمل في الخارج في سداد مستحققاتها، وسحبت جزءًا جسيمًا من رصيدي بالبنك، وأطرق برأسه متألمًا.. فقالت له: ستبدأ من جديد.. وستسافر مرة أخرى لتعوض ما خسرت.. وستتزوج ممن تستحقك.. وإن شئت فسوف أزوجك حين تعود في الأجازة القادمة ممن هي أفضل منها!

فرفع رأسه إليها وهو يقول:

أخشى أن أكون قد فقدت الثقة في نفسي وفي كل الفتيات! ثم ودعها وانصرف..





وتوالت الأنباء السعيدة في الإدارة التي تعمل بها.. فتم زفاف "علية" و"ابتسام" إلى زميلين من الهيئة كانت هي واسطة الخير إليهما.. ووفقت "نهلة" للعثور على الشقة المناسبة استعدادًا للزواج من "كمال" زميلهما بنفس الإدارة، وتزوج شقيق سميحة الأصغر وانتقل إلى مسكنه الجديد فخلا البيت عليها وعلى أمها.. بعد أن سبق الشقيق الأكبر بالزواج منذ 5 سنوات.. وفشلت كل محاولات الأم لتزويج ابنتها فاستقر الرثاء لها في أعماقها..

وجاء الصيف.. وذهبت سميحة إلى عملها ذات صباح فوجدت زميلها السابق الوسيم يجلس بين حلقة من الزميلات والزملاء يرحبون بعودته بعد غياب عام طويل.. وصافحته بابتهاج وشاركت الجميع احتفالهم به ثم انصرف كل منهم إلى عمله.. ودعته هي إلى فنجان القهوة الأثير لديه أمام مكتبها، فروى لها عن نفسه الكثير ثم قطع حديثه قائلاً لها:

"سميحة لقد كنت دائماً واسطة خير بين الزملاء والزميلات في موضوع الزواج.. فهل توافقين على أن تؤدي لي مثل هذه المهمة؟"..  
وأجابته بحرارة:

بكل تأكيد.. فقط قل من هي.. وفي أي إدارة من إدارات الهيئة..  
وسوف أذهب إليها على الفور وأزكيك لديها بما تستحقه



فأطرق برأسه قليلاً ثم قال:

لن تذهبي بعيداً.. فهى فى هذه الإدارة نفسها..

فارتفع حاجبها دهشة.. وتلفتت حولها كأنها تبحث بين زميلاتهما  
الثلاث عن زميلة لم تتزوج بعد... ثم قالت له:

ليس فى هذه الإدارة فتيات لم يتزوجن بعد..

فأجابها باسمًا:

لا بقيت واحدة منهن لم تتزوج.. وهى أكثرهن طيبة.. وأجدرهن  
بأن تكون زوجة سعيدة.. بقيت "سميحة" وأريدك أن تتوسطى لى  
لديها لتقبل اعتذارى عن تجاهلى لها خلال السنوات الماضية.. وأن  
تسألها نيابة عنى.. هل تقبل أن تتزوج من مطلق صادف سوء الحظ  
فى زواجه الأول؟.

وخفق قلبها بشدة.. واحمر وجهها خجلاً وارتباكاً.. وتلفتت حولها  
بحذر لترى هل يتابع الزملاء بالمكتب حديثهما أم لا، فوجدتهم جميعاً  
مشغولين بما بين أيديهم.. فراودها الإحساس بأنهم يعرفون بالأمر  
ويتظاهرون بالتشاغل عنهما.. فسكتت متحيرة.. وطال الصمت  
دقيقتين فقال لها وهو ينهض بصوت خفيض:

أرجو ألا تتعجليها الإجابة وإنما دعى "لها" الوقت الكافى لتفكر فى



الأمر، وسوف أمر بك بعد يومين لأعرف "جوابها"، فإذا قبلت فأرجو أن تبلغنيها أني سأسافر إلى عملي بعد ثلاثة أسابيع وأريد أن أعقد قراني "عليها" في أقرب وقت، وأصطحبها معي إلى حيث أعمل، وإذا رغبت ألا تسافر معي فلا بأس بذلك فإنني لن أبقى في الخارج أكثر من عام آخر ثم أعود لأستقر في بلدي بصفة نهائية وسأقبل ما تختاره..

ثم انصرف عنها وهي جامدة في مقعدها لا تتحرك، وتكاد لا تعي مما يقول شيئاً.. وظلت ساهمة شاردة إلى أن تنبهت على إحدى زميلاتنا وهي تحدثها.. فاعتذرت عن شرودها وشاركتها الحديث بذهن غائب.. وبعد يومين جاء إلى الإدارة.. وتسامر مع الزملاء بعض الوقت وهو يسرق النظر إليها من حين لآخر.. فيجدها تغض بصرها كلما التقت عيونهما.. وأخيراً حمل فنجان القهوة إلى مكتبها وجلس أمامها ثم قال لها:

والآن "يا بطله" ما هي نتيجة مسعاك الذي كلفتك به؟

فاحمر وجهها حتى بدا له في تورده بحمرة الخجل جميلاً للمرة الأولى، ثم أطرقت برأسها وهي تقول له في كلمات متعثرة:

"حدثتها" بأمرك..

"فوجدتها" تقدرك كثيراً وتميل إليك بل لقد كانت "صریجة" مع





http://www.makthna2211.com/yt  
نفسها ومعنى، فاعترفت لي بأنها كانت تئمنك وترتك تجمعا عاليًا في  
السماء بعيدًا عن أن تناله ذات يوم.. ولهذا فهي ترحب بك.. وتغبط  
نفسها على هذا الحظ السعيد، لكنها للأسف لا تستطيع أن تسافر  
معك وتترك أمها وحيدة في مصر.. ولا تفضل أن تعيش بعيدًا عن  
زوجها، ولهذا "فهي" ترجو أن تكتفى من العمل بالخارج بالسنوات  
التي مضت وتعود لتستقر في بلدك.. وتطمئنك إلى أنها لن ترهقك  
بمطالب مادية، كما أنها ترى أن دخلك هنا مع مرتبتها الذي ستعينك  
به على أمرك يكفيان وأكثر لحياة كريمة، والمهم هو السعادة واجتماع  
الشميل وليس أى شىء آخر!

وسمع كلماتها منتشيًا وشكرها بحرارة ثم التفت إلى زملائه  
المتشاغلين عنهما بالعمل أو الحديث.. ورفع لهم إبهام يده اليمنى  
علامة التوفيق في مسعاه!.. فانفجرت الابتسامات والضحكات من  
حولها.. وتأكدت مما شككت فيه من قبل من أنه قد حدثهم جميعًا  
برغبته في الزواج منها، وانهاالت عليها التهانى الصاخبة وعرفت من  
زميلاتهما في مرحهن أنه حاول توسيط إحداهن لديها فاعتذرن جميعًا  
عن المهمة، ونصحته بأنه "يوسطها" هى في مسعاه لديها لأنها أنجح  
واسطة خير في الإدارة التى لم يخب لها مسعى من قبل!

وضحكت كثيرًا حين عرفت ذلك.. واهتمتهن بعدم الوفاء



لرفضهن الوساطة بينها وبين زميلها، لكنها كعادتها مع الحياة لم تتوقف لحظة أمام هذا الاتهام، ورأت في الأمر كله جانبه الجميل وهو رأيهن الطيب فيها، وابتهجت غاية الابتهاج حين فاجأها بإخراج علبة كانت مخبأة تحت مكتب إحداهن، فإذا بداخلها تورتة أعددها للمناسبة السعيدة وتجمعن حولها في حماس يوزعنها على الزملاء، وأعطتها "علية" قطعة منها فتناولتها مبتهجة وهي تقول:

تورتة واحدة فقط مقابل ثلاث زيجات سعيدة؟ يا له من جحود!

فانفجر الجميع ضاحكين.. وساد الإدارة جو بهيج لم تشهده من قبل في الزيجات السابقة!.

مكتبة  
تحت المصباح



تردد بعض الوقت في قبول دعوة زميله لحضور احتفاله بعيد زواجه الثالث لسطحية علاقته به.. ولا ارتباطه أيضاً بموعد مقدس كل مساء لا يتخلف عنه، لكن شيئاً ما دفعه للاستجابة في اللحظة الأخيرة، توجه إلى بيت الزميل حاملاً علبة التورته، وتوافد الزملاء وزوجاتهم فساد المكان جو المرح. تعزى ببهجة الحفل قليلاً عن افتقاده لسهرته اليومية مع رفاق المقهى وسهرة لعب الورق التي تليها في بيت أحدهم. ليل الأعزب الوحيد سجن تُقتل قضبانه من خيوط السأم والوحدة وفقدان الرفيق.

أصدقاء المقهى.. أصدقاء وليسوا أصدقاء في نفس الوقت. عرف الطريق إليهم حين نقل إلى الأسكندرية من القاهرة منذ سنوات وضاق بوحده فيها. قدمه لهم زميل له بالعمل فانضم إلى الشلة متلهفاً على اكتساب الصداقات. واكتشف بعد قليل أنهم يتسللون من المقهى في التاسعة بأعداد مختلفة وهم يتهايمسون أو يتبادلون الإشارات المبهمة. سأل زميله، فعرف منه أنهم يتجمعون في المقهى من السابعة حتى التاسعة مساءً ثم يتسلل خمسة أو ستة منهم إلى بيت أحدهم، فيبدأون سهرة أخرى مع الورق تمتد حتى الفجر. الورق رفيق الوحدة والسأم. وشريك من لا شريك له





في الحياة. رغب بالانضمام إليهم واكتشف بعد أن اندمج في حلقتهم شخصيات أخرى لهم لا تتكشف إلا على مائدة اللعب. ميولهم العدوانية وغرائزهم البدائية تنطلق على سجيتها مع الاندماج في اللعب فتعبر عن نفسها بلا ادعاء. عرف بينهم الكاذب.. والمخادع.. وحاذ الطباع الذي لا يحتمل الخسارة فاندمج فيهم غير نادم على تدهوره! يبدأون السهرة مهذين باسمين يتبادلون المجاملات، فإذا اندمجوا في السباق المحموم نسوا كل الاعتبار، وشغلوا بمعركة الدفاع عن النفس وإثارة اللعب حتى يفيقوا مع اقتراب الفجر فينهضون تالفي الأعصاب شبه متخاصمين لا يكلم أحدهم الآخر! يلتقون في مساء اليوم التالي بالمقهى فتعود إليهم ابتساماتهم ومجاملاتهم، وكأن شيئاً لم يكن! عرف قانون اللعبة بالممارسة فاحترمه، وحاول أن يتواءم معه رغم نفوره الباطني منه، إذ لا بديل لذلك إلا السأم والوحدة في ليل الأعزب المزمّن. فانت فرص الارتباط وضاعت فتخطى الأربعين بعام، ولم يبق له إلا الحسرة والتوحد في الذات. دنيا الأعزب المزمّن نفسه وحدودها شخصه ولا عجب، إذ كيف يهتم بالآخرين من لا يهتم به أحد سواه؟ قالت له فتاته وهما في نهاية سنوات الدراسة الجامعية: لم تبق إلا أيام ونتخرج فعدنى بأن تتقدم لأخى بعد الامتحان وسأدلل لك كل الصعاب.. ولا تخش عقبات البداية، فهكذا يتزوج كل الشباب! فتردد أمام خطوة

<http://www.nakbtina2211.com/vb>  
البداية والتمس لنفسه العذر عن جبنه في ضعف إمكانياته وثرأ  
أخيها.

انتظرتة بعد التخرج عامين طويلين، وألحت عليه أن يتقدم قبل  
أن يفوت الأوان فتعثر في تردده وعجزه حتى أفاق على خبر ارتباطها  
بآخر وزواجها منه! لسنوات طويلة اتهم نفسه بالجبن والعجز وأقسم  
لنفسه ألا يتردد من جديد إذا صادف الحب الحقيقي في حياته مرة  
أخرى، فمضت السنوات.. ولم يظهر في الأفق بشير له.

تعرف بأخرى.. وأخرى فما استطاع أن يقنع نفسه بإحداهن ولا  
اقتنعت به أو أحبته واحدة بمثلما أحبته فتاته القديمة.

انزلت قدمه إلى مائدة اللعب فأحرق عليها ساعات ليله بلا  
حساب واكتسب شيئاً فشيئاً طباع المقامرین.. يتهمونه في الشلة  
بالجرأة والمغامرة في اللعب.. فيبتسم باطنه في حسرة وهو يتذكر  
تردده أمام السعادة وعجزه عن نيلها!

تقدم في عمله رغم سهر الليل الطويل واستقرت أحواله المادية  
فامتلك الشقة والسيارة ورصيلاً كافياً لبداية مشروع الزواج..  
لكن أين فتاة القلب التي تسكن العش الخالي.. وماذا يفيد أن تبني بيتاً  
لا يجد سكانه؟

في حمأة اللعب قد تُفلى الحكمة من بعض الأفواه فنصحه أحد

رفاقه بنسيان حلم الحب والإقدام على الزواج بالطريقة التقليدية..  
وقال له آخر:

هأنت ترانا جميعًا متزوجين.. ومهما كانت مساوئنا وأخطاؤنا  
فنحن نعود آخر الليل إلى بيوت تُدفئها أنفاس الزوجات والأبناء  
الذين نتحمل مسئولياتنا عنهم.. وتعود أنت إلى بيت بارد موحش  
لنتنظر موعد اللعب التالي، وتصاب باكتئاب شديد إذا عرقل اجتماعنا  
شيء.. وتلح علينا كل ليلة بل وتتوسل لنا لأن نطيل اللعب ساعة  
أخرى فلا نستجيب لك فلماذا لا تتزوج كما يتزوج الناس.. أحبيت أو  
لم تحب.. وأنت الفائز في كل الأحوال.. فحتى هموم الزواج ومشاكله  
أرحم كثيرًا من وحدتك بين جدران الليل.

سلم بحكمة النصيحة وقرر الأخذ بها، وسأل رفاق اللعب أن  
يرشحوا له من يرونها ملائمة له.. فرشحه بعضهم لقريباته.. والتقى  
بكل منهن في زيارة عائلية فلم يحالفه التوفيق مع إحداهن.

اعترف لنفسه بأنه قد ضحى بسهرة اللعب هذه الليلة جريًا وراء  
الأمل الغامض في الالتقاء بمن تخلصه من وحدته في سهرة عائلية  
مماثلة.. فترى أين هي وسط زحام هؤلاء المدعوين؟ تأمل الحاضرين  
في بيت زميله، وتساءل ترى متى كانت آخر مرة شارك فيها في مناسبة  
عائلية كهذه المناسبة؟ فرقت ظروف الحياة بينه وبين أصدقائه





القدامى.. وباعدت غربة المكان بينه وبين إخوته وأسرته.. فلم يعد يلتقى بهم إلا في المناسبات القليلة.

وبين زحام الحاضرين لفتت نظره بوجهها المريح وملامحها التي توحى بالأمان فتساءل في باطنه. ترى من تكون؟ وتأمل المدعوين ليحاول اكتشاف علاقتها بأحدهم فلم يلحظ ارتباطها بأحد. لاحظ طبيعة تصرفاتها فأيقن أنها تنتمي لصاحب الحفل أو لزوجته. وبينما كان مشغولاً بها فوجيء بها أمامه تحمل إليه طبق السجاطة فتناوله شاكرًا وباسمًا، وقال لها على الفور إنه يحس بأنها "صاحبة بيت" وليست ضيفة فهل له أن يتجرأ ويطلب منها كوبًا من الشاي؟ وأجابته بابتسامة ترحيب وعادت إليه بعد قليل بالشاي فشكرها بحرارة آملاً أن تكون خالية القلب!

سأل عنها زميله خلال الحفل فأجابه وهو يتطلع إليه مستفهمًا عن سر اهتمامه بأنها شقيقة زوجته، فأمضى السهرة مركزًا عينيه عليها وكلما التقت عينها بعينه ابتسم لها في ثبات ورجاء!

في اليوم التالي توجه إلى مكتب زميله في الصباح ليشرب معه القهوة وأدار الحديث عامدًا عن حفل الأمس إلى أن وصل به إلى هدفه وسأله عن شقيقة زوجته.. فعرف منه أنها ليست مخطوبة ولا مرتبطة وإنما مطلقة منذ عام واحد بعد زواج استمر 8 سنوات بسبب عدم الإنجاب!



اهتز قليلاً حين سمع بمشكلتها مع الإنجاب.. لكنه لم يتراجع وإنما طلب من زميله أن يرتب له زيارة عائلية يلتقى بها خلالها لمزيد من الاقتراب. والتقى بها في بيت زميله ولم تخف نيته عليها.. فأبدت تجاوباً معه وحدثها طويلاً عن حياته ووحدته.. وسألها أن تحكى له عن حياتها فروت له باختصار عن سعادتها المنهارة.. وانتهيار زواجها بعد 8 سنوات بسبب استجابة زوجها السابق لضغط أهله عليه وزواجه من أخرى لينجب منها. وروت له عن موافقتها راغمة على الاستمرار معه بعد زواجه إلى أن أنجب زوجها طفلاً من زوجته الجديدة وشغل بهما عنها تماماً.. ثم استجاب لضغط زوجته الجديدة عليه.. فطلقها ووجدت نفسها مطلقة وحيدة في الثانية والثلاثين من العمر، وعادت لتقيم مع أمها بعد أن تزوجت شقيقتها وشقيقاها. تذهب إلى عملها صباحاً وتعود لتمضي يومها بين جدران بيتها ومشكلتها هي الليل! فأمها تنام في الثامنة مساء على الأكثر.. وتبقى هي وحيدة ساعات المساء الطويلة تشاهد التلفزيون وتقرأ وتتقلب في فراشها حتى الثانية أو الثالثة صباحاً. ساعات الليل طويلة وموحشة وجافة.. لا شيء يبلى من جفافها أحياناً إلا دموعها الصامتة حين تستسلم للضعف ومرارة الذكريات.

وسألها واجلاً:



هل مازلت تحبينه؟

وأجابته صادقة:

أكذب لو قلت لك إنني أكرهه.. لكن مرارة القلب أقوى من كل المشاعر!

واستراح لإجابتها واعتبرها مدخلاً أميناً لاكتساب الثقة. وتكرر لقاءهما في بيت زميله وازداد اقترابهما..

وسأله بعد قليل:

ألا تزعجه حقاً عدم قدرتها على الإنجاب، فأجابها صادقاً بأنه قد تردد قليلاً أمام الأمر حين عرف به، لكنه حسم ترده بالتسليم بفوات أوان الإنجاب أو الأمل فيه وساعدته وحدته المزمنة على تقبل الأمر بروح واقعية.. وسعدت بإجابته وأملت أن تدعم روابطهما الأيام.

واستراح إلى اختياره فصارحها بكل شيء عن حياته حتى بإدمانه للعب في وحدته.. ومخاوفه من ألا يستطيع بعد الزواج أن يمتنع نهائياً عنه في بعض الليالي فيتركها لوحدها مع الليل. واهتزت أمام الاحتمال لكنها قالت له بعد أيام إنها قد قارنت بين وحدتها الكلية في بيت أمها ووحدتها الجزئية المحتملة بعد الزواج وانتهت إلى تفضيلها للارتباط به، ووعدته بالآثار له المتاعب بسبب هذه الآفة بعد الزواج إلى أن يتخلص منها.





وتزوجا وحضر رفاق اللعب زفافه وانصرفوا مبكرين ليلحقوا  
بموعدهم المقدس متأخرين عنه بعض الشيء إكرامًا لزميلهم!

وأحس منذ اللحظة الأولى التي اختلى بها فيها بتطلعها الحزين إلى  
الاحتماء به من التعاسة فرق قلبه لها. تفرغ لها أيام العسل ليلاً ونهاراً  
فأنست لصحبته وشغلت حياته باهتمامات جديدة. ضبطته بعد شهر  
من الزواج ساهماً في بداية المساء فقالت له بفطنة:

لماذا لا تذهب لرؤية أصدقائك القدامى.. وأمضى أنا هذه الليلة مع  
أمي!

وقدّر لها حرصها على إبعاد السأم عنه.. فانطلق مبتهجاً إلى شلته  
القديمة وقوبل فيها بعاصفة من الترحيب والاهتمام بالجحود! تكررت  
الزيارة من حين لآخر ولاحظ عدم ضيقها بها، فرضى عن حياته معها  
ومضت أيامها هادئة.

كفّت زوجته عن المبيت مع أمها في الليالي التي يستجيب فيها لنداء  
اللعب فأصبحت تمضي ليلتها في مسكنها الخالي تتقلب في فراشها،  
ولا يسكن لها جانب إلا حين تحسّ به وهو يندس إلى جوارها في  
الفراش فتمسك بيده كأنها تطمئن إلى أنها لم تعد وحيدة.

وعلى عكس ما أملت من أن تسهم زيارته المتباعدة لرفاق  
اللعب في إبعاد السأم عنه حتى يزداد تمسكاً بها، تقاربت مواعيد



زياراته لهم حتى كادت تصبح يومية بعد شهور، فطالت وحدتها وأطل العتاب الصامت من عينيها. وبعد عام آخر أصبحت القاعدة هي سهرة الرفاق والاستثناء هو أن يبقى معها.. فاستقر الحزن الصامت في أعماقها. ثم نهضت من نومها ذات يوم مفزوعة لحلم كثيب وتحسست مكانه الخالي في الفراش بأسى، وأضاءت النور ونظرت في الساعة فوجدتها الثالثة صباحًا. فأطفأت النور وظلت تحديق في فراغ الظلام وهي تفكر في هذا الحلم الغريب الذي يراودها منذ فترة وترى فيه نفسها تهوى من فوق جبل عال.. وتمد يدها إلى زوجها لينقذها.. فلا تجد يده!

منذ أسابيع وهي تحلم بهذا الحلم.. وترويه لزوجها فيطيب خاطرهما.. تسلل ضوء الصباح الضعيف إلى الحجرة وتسلل زوجها وأحس بها مستيقظة فنظر إليها محرجًا ومرتبكًا.. وحاول أن يبرر تأخره الشديد هذه الليلة فقاطعته قائلة بصوت خافت:  
رأيت نفس الحلم مرة أخرى.. ولم أجذك إلى جوارى..  
جلال طلقني!

وانزعج لما قالته وطلب تأجيل مناقشة الأمر إلى اليوم التالي.. وغير ملابسها وذهب إلى عمله بلا نوم.. وعاد في الظهر فوجدتها تنتظره في الصلاة.. وقد أعدت له طعام الغداء فتناوله على عجل وهو يقاوم النعاس ودخل إلى غرفة النوم فصاحبته إليها.. ورتبت له الفراش



فدخل فيه سعيداً بنسيانها للمطلب المزعج وأمسك بيدها شاكرًا  
وباسمًا ومعتذرًا فسمعها تقول له:

عفوا سأغادر البيت بعد نومك.. وسأنتظر في بيت أمي حتى تتم  
الإجراءات!

وفقد رغبته في النوم فجأة فانتفض جالساً في فراشه وأمسك بيدها  
وسألها هل أنت تعيسة معي إلى هذا الحد؟.. هل فشلت في أن يكون لي  
أى رصيد من حبك.. إننى معترف بخطأ عودتى إلى اللعب.. لكنه لن  
يكون هناك أمل فى الإصلاح إذا لم يكن لي أى رصيد لديك من الحب  
والرغبة المشتركة فى استمرار الحياة.. فهل فقدت كل رصيدي  
عندك؟.. أم أننى عجزت من البداية على أن أفتح لى نفسى حساباً  
لديك؟! وتطلع إليها بنظرة رجاء.. فأحنت رأسها متفادية نظراته  
وانسابت دموعها بغزارة وهى تقول له:

أنت رقيق وهادىء الطبع وحنون.. ولا أريد أن يفشل زواجنا  
لكننى أخاف سجن الليل ولا أريد أن أعانى الوحدة كل ليلة ولقد  
فكرت طويلاً فوجدتك بعد أن تسلفت إلى قلبى شيئاً فشيئاً..  
وأصبحت كل حياتى تعود فتسرب من بين يدي وأجد نفسى وحيدة  
بلا نهاية مع عذاب الليل كما كنت فى بيت أمي.. ولم أحتمل عودة  
المعاناة وأريد أن أوقف القصة قبل أن تفسد حياتنا بالنزاع والشجار.



وأجهشت في بكاء مرير.. فانتفض من فراشه واقفاً وقد اكتسب  
قوة مفاجئة غلبت إجهاد السهر.. وراح يتمشى في غرفة النوم لفترة  
طويلة مطرقاً يفكر وهي جالسة على حافة الفراش تبكى.. ثم توقف  
فجأة أمامها وقال لها:

سواء.. ما رأيك في أن نعيش بضعة أعوام من حياتنا على ساحل  
البحر الأحمر؟ لقد عرضوا علىّ في العمل منذ أيام ترقية وتنتقل إلى  
مدينة الغردقة، لكنني اعتذرت عن الترقية والنقل ربما ترددًا أمام  
مطالبتك بالانتقال من عملك إلى هناك وربما لكيلا أبتعد عن  
الأسكندرية ورفاق السهرة، والآن قد غيرت رأيي.. وقررت أن أقبل  
الترقية والنقل.. وتستطيعين بسهولة الانتقال للعمل معي وسوف  
تستمتعين بالحياة هناك فلن يكون فيها سهر ولا لعب.. ولن يكون  
لأحدنا سوى الآخر وسوى استقبال الأهل والأقارب من حين لآخر  
في زيارات ممتعة في الاستراحة الواسعة التي سنقيم فيها.. فما رأيك في  
هذا الاقتراح؟

ورفعت إليه رأسها مندهشة ودموعها مازالت تنساب على خديها  
وظلت ترنو إليه صامته فرأى دمعها وهو يخفّ تدريجياً حتى توقفت  
آخر قطره منه في عينيها وترددت في السقوط.. ثم رأى أسارير وجهها



تنفرج رويداً رويداً وبداية ابتسامة أمل جديدة ترتسم ببطء فوق شفثيها، ثم استسلمت أحاسيسها لداعى الابتهاج.. فاتسعت الابتسامة بالتدريج حتى بشرت بتحولها لدى أى مثير جديد للبهجة إلى ضحكة ارتياح كتلك التى تتسلل للإنسان رغماً عنه حين يكتشف فجأة أنه قد نجا من هاوية سحيقة كاد يسقط فيها فراح ينظر إليها مندهشاً ويتخيل حاله لو كان قد هوى إليها بالفعل!.



ككل الفتيات كانت تحلم بفتى القلب الذى سيظهر فجأة فى حياتها فتنهار أمامه حصونها المغلقة، لكنها لطبيعة واقعية فيها أجلت كل شئون القلب إلى ما بعد انتهاء الدراسة وتحسن الأحوال.. فهى فتاة جميلة جذابة تدرس بأحد المعاهد، لكنها كبرى إخوتها وربة بيتهم منذ رحيل أمها، ومستشارة أبيها الأرمل وصديقه الأولى، وقد تحملت مسؤولية الأسرة وهى فى سن الثانية عشرة من عمرها، فأكسبتها الهموم نظرة جادة للحياة فهى المسؤولة عن تدبير شئون البيت بمرتب أبيها المحدود، وعن تربية إخوتها ومراقبة دراستهم وتصرفاتهم، ومن أجلهم تنازلت راضية عن حقها فى الالتحاق بالجامعة ورضيت بمعهد لمدة سنتين لتتخرج سريعاً وتعمل وتشارك أباهما أعباء الحياة. وحين حصلت على شهادتها ظنت أن نصيباً كبيراً من همومها قد انزاح عن كاهلها.. فهى تستطيع الآن أن تعمل فى وظيفة مناسبة وتعود إلى أسرتها فى الثانية بعد الظهر كل يوم، وتساهم بمرتبتها فى تخفيف جفاف حياتها.. لكن أحلامها تبددت سريعاً فى الهواء فالوظيفة حلم بعيد المنال لمن لا سند له من أسرة أو نفوذ، وكل الأعمال التى أتاحت لها كانت تتطلب منها أن تعمل من الصباح حتى المساء فيتعذر عليها إدارة بيتها ورعاية إخوتها. وتنقلت بين الأعمال فلم تستقر فى عمل طويلاً.. واضطرت لتركه كلما





خبرت بينه وبين مسئوليتها العائلية ثم استسلمت أخيراً لليأس ورجعت إلى بيتها تنتظر فرصة أفضل من السماء.

وجاءتها الفرصة من مجال بعيد عن توقعاتها.. فلقد أحيل أبوها إلى المعاش وتسلم من الهيئة التي يعمل بها مكافأة نهاية الخدمة وكانت "ثروة" بالنسبة للأسرة البسيطة، فقرر الأب أن يقسمها على أولاده حسب أنصبتهم الشرعية ويودعها لهم في دفاتر التوفير.. ونفذ الأب إرادته ورتب حياته على أن تعيش الأسرة بمعاشه الذي ينقص كثيراً عن مرتبه، وأحس بأنه قد أدى بذلك رسالته تجاه أولاده.. خاصة ابنته الكبرى شريكته في الهموم منذ صباها.. واحتفظ الأب بدفاتر توفير الصغار في حوزته وسلم الكبرى الرشيدة نصيبها مطمئناً إلى حكمته، فلم يمض شهران حتى كانت قد حلت مشكلة العمل بطريقة غير مألوفة لمثيلاتها فسحبت رصيدها من دفتر التوفير ودفعته كتأمين لشركات توزيع الصحف واشترت مائدة طويلة.. وبعد يومين توقفت سيارات توزيع الصحف والمجلات أمام عنوان بيتها القديم وأنزلت "رزم" الصحف والمجلات وانصرفت. وظهر في الشارع "فرش" جديد لبيع الصحف والمجلات والكتب تديره فتاة جميلة ترتدى القميص وينطلون الجينز الواسع وتتعامل مع الجميع بجدية واحترام!



وأصبحت الفتاة الجادة تبدأ يومها في الخامسة صباحًا.. فتسلم الصحف وتصفّها على مائدتها المثبتة بجدار بيتها.. وتعلق المجلات بالمشابك على حبال كحبال الغسيل فوقها.. وتقف في انتظار زبائن الصباح، وقبل الظهر تجمع ما تبقى لديها من تجارتها وتحملها إلى شقتها بالدور الأرضي.. وتعود الفتاة إلى أسرمتها وإخوتها، فتدير شئونهم كما كانت تفعل طوال السنوات الماضية.. وسعدت الفتاة بعملها ورضيت به وبمتاعبه وعرفت بالتجربة كيف تسد ثغرات المتاعب مع مندوبي التوزيع، وتتجنب أخطاء الحساب معهم فرسخت أقدامها في المهنة الجديدة واكتسبت احترام الجميع.

وذات صباح رأت وجهًا جديدًا لشاب وسيم يمد إليها يده صامتًا بثمرن الصحيفة، ثم يمضي بها مطرقًا وغارقًا بين صفحاتها. ولاحظت رغم زحام زبائن الصباح أنه لم يحييها أو يتودد إليها كما يفعل الآخرون. وتكرر ظهوره كل يوم بعد ذلك.. يأتي في السابعة والنصف صباحًا ويشترى جريدته وينصرف صامتًا.

وبعد أسبوع من ظهوره في أفقها اقترب من المائدة فمدّت إليه يدها بصحيفته المفضلة قبل أن يطلبها.. فابتسم شاكرًا ودفع ثمنها ومضى يتصفحها.

وفي اليوم التالي جاء في مواعده فصادفها وهي نائمة على شاب



عابث حاول أن يتعدى حدود الاحترام في حديثه معها.. فتوقف صامتًا يستمع إلى احتجاجها.. وإلى دفاع الشاب عن نفسه بأنه لم يقصد بكلامى سوى الدعاية ثم نظر إلى الشاب نظرات صارمة وقال له بهدوء ينذر بالخطر:

لم لا تنصرف وتدع الأنسة المحترمة تمارس عملها فى أمان؟  
ثم ركز عليه نظراته متحفزًا.. فلم يجد الشاب بداً من الانصراف قبل أن يتعرض لما يكره.  
وعقب انصرافه سألها:

لماذا لا يساعدك أحد فى عملك ليحميك من أمثال هؤلاء؟  
فوجدت نفسها تحكى له بإيجاز شديد بعض ظروفها فلم يخف إعجابه بشجاعته.. وتمنى لها كل خير فى حياتها.  
وفى المساء خلت لنفسها.. فتأملت وجهها فى المرآة طويلاً ووجدت صورته تطل عليها منها، واستعادت نظراته الصارمة للشاب العابث وتساءلت بإشفاق وأمل:

هل آن للقلب المغلق أن يفتح أبوابه بعد طول انتظار؟  
ويومًا وجدها تراجع فواتير الصحف والمجلات.. فعرفها بنفسه وبعمله كمحاسب بإحدى الشركات وعرض مساعدتها فى حساباتها





إذا احتاجت لذلك، فشكرته باسمه وواعدة بأن تستفيد من خبرته في أقرب وقت.

وبعد يومين دعتَه لزيارتها في بيتها ليساعدها في مراجعة حساباتها وجاء في الموعد فرحب به أبوها.. وجلست إلى جواره وفتحت أمامه ملف حساباتها، فقدّم لها اقتراحات مفيدة في كيفية ضبطها وترتيبها بطريقة سليمة وغادر البيت مشكورًا من الجميع.

وتكررت زيارته لبيتها.. واعتمدت عليه في حل بعض المشاكل الحسابية مع شركات التوزيع فأدى المهمة على خير وجه، واعترفت لنفسها أن ما يجمع بينهما أقوى من الحسابات وأهم من العمل.. واعترف هو لنفسه بأنه معجب بهذه الفتاة الشجاعة الوفية لأهلها، لكنه تساءل مشفقًا هل تقتنع بها أسرته المحافظة؟

وبعد فترة أخرى تعمقت خلالها المشاعر.. وفضحتها العيون والتصرفات، صارحها بأنه يرغب في الارتباط بها، لكنه لن يقوى على مواجهة معارضة أسرته بسبب الاعتبارات الاجتماعية المعروفة.. فوالده ضابط كبير بالمعاش وشقيقاه متزوجان من طبيبة وكيميائية وشقيقته زوجة لضابط كبير أيضًا وهو أصغر أشقائه، ولن يقبل أبوه وأمه وإخوته بزواجه من "بائعة صحف" مع أنه عمل شريف.. وهى فتاة ممتازة مكافحة.. وفية لأهلها.



.. والحل؟ تساءلت.

فأجابها أن تتوقفى عن هذا العمل.. ومنتظر فترة حتى ينسى الجميع عملك هذا أو تجدى عملاً آخر.. ثم أتقدم لخطبتك ونتكتم عملك السابق فلا نشير إليه أو نعترف به لو أشار إليه أحد!

واهتزت الفتاة من الأعماق لكنها لم تستسلم للانهيـار أمامه، وطلبت منه أن يعطيها مهلة للتفكير ينقطع خلالها عن زيارتها والظهور أمامها كل صباح.. وسوف تتصل به فى عمله وتبلغه بقرارها.

وانتظر قرارها أسبوعاً فلم تتصل به، وذهب إليها فى الصباح فوجدتها تمارس عملها بلا حماس.. ووجهها الجميل شاحب كأنها تعاني من المرض، وابتسمت له فى ضعف حين رآته وقدمت له صحيفته فسألها متى تتصلين بى.

فأجابته:

قريباً.

وانتظر أسبوعاً آخر وذهب فى الصباح إليها فلم يجدها، وإنما وجد أباهـا الموظف بالمعاش يبيع الصحف بدلاً منها فانقبض صدره وسأله عنها فأجابه بأن صحتها متوعكة بعض الشيء.. واستأذنه فى أن يزورها فى المساء ليطمئن عليها فرحب به الرجل بعد تردد.



وفي المساء طرق الباب ففتحته شقيقة فتاته الصغرى وتجهمت حين  
رأته ثم دعتة للدخول.. وجلس في الصالون ينتظر فدخلت إليه بعد  
قليل فتاته متداعية كأنها لم تنم منذ أسابيع، وانزعج بشدة حين رآها  
وسألها عما بها من مرض فأجابته في حزن: أنت!  
وسألها مذعورًا: أنا؟!

فقالت في أسى: نعم أنت. أنت "مرضى" فأنت أول إنسان أحبه  
في حياتي وأتمناه لنفسى.. وقد صدمتني صدمة العمر بأنك لا تحبني  
كما أحبك.

ونفى الاتهام عن نفسه بشدة.. لكنها أصرت عليه.. وأكدت أنه لو  
كان قد أحبها بعض حبها له لقبلها كما هي.. ولم يخجل من ظروفها  
ولم يحاول أن "يجمل" صورتها لكي يقنع بها أهله. في حين أحبته هي  
قبل أن تعرف أى شيء عن ظروفه، ولو كانت ظروفه غير مناسبة لها  
لما فرطت فيه بعد أن أحبته كما يفرط فيها هو بسبب ظروفها.

وبكت.. وهي تشرح له أن عملها يساعدها على تربية إخوتها،  
وأنه لو كان الأمر يخصها وحدها لما ترددت لحظة في التضحية به  
من أجله، لكنه أمر يتعلق بإخوتها فهل يرضى لها بأن تكون أنانية  
وتفضل سعادتها على مصلحة إخوتها.. وأبوها مريض لا يقوى على  
ممارسته.. وإخوتها صغار لا يتحملون مسئوليته؟





ولم يجبها بسىء.. لكنه نادى على أبيها من مجلسه في الصالون، وجاء إليه فمدَّ إليه الشاب يده طالباً أن يقرأ معه فاتحة ابنته، ففوجئ به يعتذر قائلاً له: نحن لا نخطف أولاد الناس يا ابني نحن بسطاء نعم، لكننا شرفاء ولنا تقاليدنا مثلكم، فإذا أردت أن تخطب ابنتي ففضل في صحبة أسرتك في الموعد الذي تراه! وانصرف الشاب صامتاً.. ولم يعد.

ومضت ثلاثة شهور اختفى خلالها تماماً من حياة الأسرة.. ولم يظهر أثناءها في موعد الصباح، فيئست منه حتى الموت وتجنبت الأسرة ذكر اسمه أو الإشارة إليه أمام فئاتها المصدومة في حبها الوحيد.. بعد أن تكرر بكاءؤها رغماً عنها كلما جاء ذكر اسمه عرضاً على ألسنتهم.

ثم دق جرس الباب في شقة الأسرة البسيطة ذات مساء وفتحته الفتاة فوجدت فتاتها "الخائن" أمامها ومعه رجل مهيب المنظر وسيدة وقور، فوقفت ذاهلة جامدة في مكانها إلى أن سمعت صوت الرجل المهيب يقول باسمًا:

هل هذه هي عروسك الجميلة.. عفارم عليك يا ولد!

فانطلقت فرحتها الطاغية بلا حدود.. وتراجعت مضطربة الخطوات تدعو الضيوف للدخول.

وخطب الأب لابنه فتاته المكافحة.. وشرح لأبيها أن الله قد وفقه للحصول لابنه على شقة في نفس الشارع الذي يقيمون فيه، ليكون في موقع وسط بين الأسرتين بعد الزواج لأنه أصغر أولاده ولا يريد أن يتعد عنه بمسكنه كباقي إخوته.

وبعد شهور شهدت شقة الأسرة أول أفراحها منذ وفاة الأم قبل 15 عامًا، وانتقلت العروس الجميلة إلى مسكن فتى الأحلام القريب وغابت عن فرش الصحف والمجلات والكتب طوال شهر العسل السعيد.. لكنها مع أول يوم بعد انتهائه.. ظهرت في مكانها القديم أمام الصحف في السادسة صباحًا بالضبط، وفي السابعة والنصف مرّ بها شاب وسيم في طريقه إلى عمله.. فأخذ صحيفة الصباح ومعها ابتسامة حب عذبة.. ولم يدفع نقودًا!



في أعماق القلب

يوجد شيء غريب

أرى ظلال الضوء

تخفي جزءاً سرّياً مني

يحتبىء من حياتي

ويعيش في الظلام

وأرى بعين الخيال

إنساناً لا أعرفه

يفهم أفكارى

ويلبى لى احتياجاتى

إنه لص القلوب

سرق منى قلبى

ومضى بعيداً

يا إلهى - إنه أفضل من حلم

وأجل من واقع!

"من قصة لص القلوب"





هكذا كانت تقول كلمات الأغنية الأجنبية التي تستمع إليها الزوجة الشابة، وهي تجلس إلى مكتبها الصغير في الردهة الصغيرة الفاصلة بين حجرة نومها.. وحجرة الأولاد.. لقد اختارت منذ زمن بعيد هذا الركن الهادئ، ووضعت فيه مكتبًا صغيرًا ومقعدًا وأباجورة رأسية.. وجهاز الستريو الصغير.. وجعلت منها واحتها الصغيرة التي تجد فيها نفسها الحقيقية بعد نوم الزوج والأولاد.

أجمل ساعات اليوم هي هذه الساعات من الليل، نام زوجها كعادته في التاسعة مساءً، ونام الأبناء وبقيت وحدها تبحث عن نفسها، تسمع الأغاني الأجنبية وتبوح بخواطرها المكتومة في الدفتر الأزرق الذي لا تسمح لأحد بأن يطلع عليه، تسأل نفسها لماذا تكتب خواطرها على الورق وهي ليست كاتبة ولا أديبة.. وتجيّب عن سؤالها بأنها لو استطاعت أن تتحدث لأحد بما يجول في فكرها لما احتاجت لأن تكتب خواطرها! زوجها يسخر من محاولاتها لأن تعبر عن نفسها بالكتابة.. ويسألها لماذا تكتبين كل هذه الأوراق!

فتتجاهل سؤاله وتحوّل مجرى الحديث إلى مجال آخر!

وبماذا تستطيع أن تجيبه؟ هل تجيبه بما قالتها الزوجة في الفيلم الأمريكي الذي سجلت منه هذه الأغنية حين قالت لزوجها ردًا على نفس السؤال:



لو كنت أستطيع أن أتكلم معك.. لما لجأت إلى كتابة أفكارى.

وهبها قالت ذلك فكيف تشرح له أن الكلام معه لا يعنى الكلام  
الخاطف الجاف فى شئون الأولاد ومصروف البيت.. ومشاكل  
عمله الدائمة التى يصحبها معه ثم يحل الصمت الثقل بينهما فى كل  
مكان يتواجدان فيه؟ هل تقول له إن فى "أعماق القلب" جزءاً سرياً  
ترى فيه بعين الخيال إنساناً يفهم أفكارها ويلبى لها احتياجاتها  
النفسية والعاطفية.. وتتحدث معه بلغة مشتركة!

لو قالت له ذلك.. لتحول الحديث العابر إلى أزمة عائلية يشترك  
فيها الأهل والإخوة، وتنعقد من أجلها المجالس العائلية وتقف فيها  
مدافعة عن نفسها ضد الاتهام البشع بالخيانة.

الخيانة! لا.. إنها لا تعرفها.. ولا تسمح لها طبيعتها بها.. لكن  
النفس معذبة دائماً بما تتطلع إليه وتفقدته فى حياتها.. وهى تفتقد  
لمسات الحب ولغة القلب.. والمفردات المشتركة بينها وبين شريك  
حياتها، لقد تزوجته هرباً من الحب وأملأ فى أن يعوضها عنه.. فخابت  
الأحلام والآمال.. فبعد تخرجها فى الجامعة نجحت أسرتها فى تعيينها  
بوظيفة مرموقة، وذهبت لتسلم عملها فتعرفت على المدير الذى  
ستعمل معه. وللوهلة الأولى التى صافحته فيها أحست أن حياتها  
سوف ترتبط بهذا الرجل بشكل أو بآخر.. لماذا؟ لا تعرف ومازالت



حتى الآن لا تدري.. وكل ما تذكره هي أنها عادت إلى بيتها وما زالت صورة الرجل في خيالها لا تفارقها.. وتأكدت توقعاتها الغريبة بعد أيام قليلة، واقترب منها واقتربت منه، ورأت فيه رجلاً وسيماً شديداً الجاذبية والرجولة، شديد الاعتداد بنفسه في غير غرور حازماً في غير عنف.. ورفيقاً في غير ضعف.. واعترفت لنفسها بعد شهور بأنها قد وقعت في حبه، وأنه أول تجربة عاطفية في حياتها. ولم تبح له بمشاعرها لأنه زوج وأب لولدين، ولم يغير من تصميمها على ذلك ما سمعته من أنه يقاسى الأمرين في زواجه التعيس مع زوجته المتسلطة المستهترّة.. فكتمت مشاعرها واكتفت بما تحسه من أمان وارتياح في القرب منه، وأصبحت تستشيريه في كل أمورهما وتستريح إلى رأيه وتلمس بعد نظره وحكمته وإخلاصه فيما تعرضه عليه من أمور، لكن إشارات القلوب تخترق حواجز الصمت فلم تمض شهور أخرى حتى فاتحها هو بحبه.. وطلب منها بإصرار أن تتزوجه على الفور، وأحست بأنها قد ملكت الدنيا بين يديها وهي تتلقى عرضه، وعادت إلى بيتها طائفة على جناح الأحلام.. لكنها ما إن أغلقت على نفسها باب غرفتها حتى بدأت تراجع نفسها وتراجع عن فرحتها.. ماذا سيكون مصير زوجته وولديه.. وكيف ستواجه أباهما وأمهاتهما من رجل متزوج وأب ويكبرها بست عشرة سنة؟ وماذا سيقول عنها الأهل والإخوة والأقارب.. وكيف تواجه زميلاتهن في العمل حين تصبح





خاطفة أرواج؟ وعجزت في اليوم التالي عن الذهاب إلى العمل، وأمضت أيامًا أخرى لا تقوى على الذهاب إليه ومواجهة فارس أحلامها.. وبعد أسبوع طويل لم تنم خلالها نومًا هادئًا مرة.. عادت إلى مكتبها وصارحته بأنها لا تقوى على مواجهة الآخرين بزواجها منه.. ولا تقوى على احتمال حياتها والاستمتاع بها إذا قضت على سعادة زوجة وولدين في سن المراهقة.. وعبثًا حاول إقناعها بأن زواجه محكوم عليه بالفشل والانفصال سواء ارتبطت به أم لم تفعل.. لكنها كانت قد حسمت أمرها بعد معاناة قاسية.

وفي اليوم التالي قدمت طلبًا لنقلها إلى إدارة أخرى في مبنى بعيد عنه. وعرف بالأمر فجاء إليها في مكتبها، وبكى أمامها كالطفل الحائر راجيًا إياها إذا كانت قد رفضته كزوج وحبیب ألا تحرمه فقط من رؤيتها كل يوم في مكان العمل بلا حديث في الحب ولا إشارة إليه، وتوصل معها بعد عناء شديد إلى حل وسط هو أن تنتقل من إدارته فعلاً.. ولكن إلى إدارة أخرى في نفس المبنى لكي يتاح له أن يراها ويتبادل معها تحية الصباح في موعد الدخول.. وتحية الوداع عند الانصراف منه.. وقبلت بذلك ووجدت فيه حلاً لمشكلتها معه.. وأصبحت تحية الصباح.. ونظرة الوداع الصامتة عند الانصراف والحديث القصير في المناسبات المتباعدة هي كل ما يربطها به. وبعد أسابيع أخرى تقدم إليها شاب من أسرة ثرية.. ففكرت في الأمر

طويلاً ثم وافقت عليه وكل أملها هو أن ينجح هذا الوافد الجديد في غزو قلبها وطرد الآخر منه. وأبلغت مديرها السابق بالأنباء الجديدة فتلقاها واجماً وحزيناً.. ولم يخف عنها مشاعره ولا مطالبته لها بألا تدفن نفسها حيه مع من لا تحب.. وتبتعد بإرادتها عمن يحس برعشة جفنها عن بعد يقرؤها ككتاب مفتوح، ويتخاطب معها على موجة واحدة وازدادت اضطراباً، لكنها لم تتراجع عما أقدمت عليه وارتجفت حين دس في يدها في اليوم التالي ورقة صغيرة خلال تحية الصباح.. وبكت وهي تقرأ فيها كلماته المعبرة: لو ذهبت إلى آخر الدنيا.. فلن تجدى رجلاً يقدم لك ما سوف أقدمه لك أنا من حب وعطاء.

واضطربت علاقتها بخطيبتها لفترة.. ولكنها واصلت الطريق بإصرار أشد وتعجلت الزواج منه كأنها تفر من قدر يلاحقها وتخشى أن تستسلم له. وتزوجت خلال وقت قصير.. وبدأت تتهرب من لقاء الصباح.. وتحية الوداع.

وأقبلت على زوجها تحاول أن تملأ به حياتها، ونُحِّل إليها أنها أحبته ونسيت الآخر. لكن شيئاً ما في أعماقها كان يشدها دائماً إلى الوراء، وساعدها على ذلك أن وجدت زوجها رجلاً صامتاً معظم الوقت جاف المشاعر.. يستسخر حديث الحب ويراه عبثاً لا يليق بالكبار.. ولا يحدثها إن تحدث إلا عن طموحه في الحياة ومتاعب



العمل.. ولا يستجيب لمحاولاتها لإضفاء أية لمسة من الرومانسية أو الشاعرية على حياتها.

وأنجبت طفلة.. فتعزّت بها عما تحسه من انفصال عاطفي بينها وبين زوجها، وجاء الابن الصغير فزادت أعباؤها العائلية وانشغلت بها عن هواجس القلب.

ثم كبر الأبناء والتحقوا بالمدرسة وازداد انشغال زوجها في عمله في الصباح وفي المساء، فطالت ساعات وحدتها في المساء بعد أن يعود زوجها إلى البيت منهكاً، ويتناول طعام العشاء خطفاً في المطبخ ثم يدخل إلى فراشه فيرتفع غطيظه من غرفة النوم بعد لحظات. في التاسعة من مساء كل يوم تجد نفسها وحيدة.. نام الزوج ونام الأولاد وبقيت هي تتحرك في البيت الصامت وتعجز عن النوم قبل الثانية صباحاً.

وفي إحدى أمسياتها هذه واتها فكرة أن تشغل نفسها بكتابة خواتمها على الورق.. وتحدثت بذلك إلى زوجها وهو يتناول عشاءه الخاطف فسألها متجهماً:

ولماذا لا تشغلين نفسك بصنع بلوفرات للأولاد أو خياطة الملابس لهما؟!!

وأحست بغصة في قلبها ولم تعلق فهي تصنع البلوفرات فعلاً





وتخيط الملابس وتقوم بكل شئون البيت، ومع ذلك تبقى ساعات المساء خالية مملة حتى الثانية صباحاً.

وقررت أن تكتب وتخفي عنه ما تكتبه.. واشترت هذا المكتب الصغير وصنعت هذا الركن الهادئ الذى تستريح فيه إلى نفسها وأفكارها كل ليلة.

وفى أول صفحة من دفتر مذكراتها كتبت:

أحسن أنه سيجىء.

ويذلل الصعوبات التى فرقت بيننا.

ويتحدث معى بلغة الحب.

ويطاردنى بين الحجرات.. وأنا أجرى منه.

وأراوغه ضاحكة.. سعيدة.

وواصلت كتابة خواطرها كل ليلة وسألت نفسها ذات مرة ماذا يفعل زوجها لو قرأ هذه الكلمات؟ هل يرميها بالخيانة ويتهمها فى شرفها؟

وسرحت بأفكارها قليلاً ثم قالت لنفسها.. مؤكدة سوف يفعل لكن ماذا يجدى كل ذلك الآن.. وهى قد ذهبت ذات يوم منذ ثلاث



سنوات إلى العمل فعرفت أن "الآخر" قد أصيب بأزمة قلبية في مكتبه قبل وصولها بدقائق ونُقل إلى المستشفى وهرولت إليه مع الزملاء، فما إن وصلوا إلى بابه حتى جاءهم من ينعيه لهم لقد مات "الآخر" .. وتوقفت تحية الصباح .. ونظرة الوداع ومرضت هي مرضاً طويلاً .. وزهدت بعد شفائها في العمل وشجعها زوجها على التفرغ للبيت .. ففترغت له . لقد فات الأوان .. كما يفوت دائماً أوان الأشياء الجميلة في الحياة ولم يبق إلا الأوراق .. وهدوء الليل .. والأنغام الحزينة .. وفي أوراقها كتبت: لقد اكتشفت بعد فوات الأوان أنني كنت أحب زوجي رغم عيوبه وصمته وجفائه وسعيدة معه .. و"الآخر" على قيد الحياة، أما بعد أن رحل فلم أعد أطيع رؤيته وكثرت المشاحنات واستقر الصامت الجاف بيننا، فأنا الآن أعيش مع رجل رحل عن الحياة .. و"أموت" كل يوم مع رجل يتنفس إلى جوارى!، وسقطت دموعها على أوراقها حين انتهت من كتابة هذه السطور .. وكلمات الأغنية الغربية عن لص القلوب والجزء السرى الذي يعيش في الظلال .. تنساب في رقة وحزن .. في أنحاء المكان!



كانا شابين صغيرين يتبادلان الحب والعطف والأمل في المستقبل، هي طالبة بالمدرسة الثانوية.. وهو طالب بالمدرسة المجاورة يكبرها بعامين وتعرفهما المدينة الصغيرة التي يعيشان فيها جيدًا، وتراهما كل يوم عائدين من المدرسة يتبادلان الأحاديث الهامة والابتسامات..

وأنهى الفتى دراسته الثانوية وغادر المدينة الصغيرة إلى العاصمة ليلتحق بكلية الطب وانقطع لقاؤهما اليومي.. وأصبحا لا يلتقيان إلا كل عدة أسابيع كلما عاد الفتى لزيارة أسرته، لكن المشاعر تزداد عمقًا مع الأيام.

وأنهت الفتاة دراستها الثانوية وقنعت بوظيفة صغيرة في مدينتها، وشغلت دراسة الطب الفتى فتباعدت اللقاءات بينهما.. وإن لم تنقطع الرسائل. وصمدت الفتاة لرغبة الأهل في زواجها بعد أن تجاوزت الثانية والعشرين بغير أن يتقدم فتاها لخطبتها.. وضاق بحصار أهلها.. والراغبين في زواجها فكتبت إليه تطالبه بالعودة لكي يرتبط بها مع استعدادها لانتظاره حتى يكون قادرًا على أعباء الزواج، لكن الفتى يكتب إليها بأن الطريق أمامه طويل. وتستشعر الفتاة قسوة الغدر وضياع الحلم لكن قلبها لا يخلو من أمل غامض فيه. ثم تسمع بأنه قد ارتبط بابنة أستاذه في الكلية وتزوج منها.. فتعاتبه في



حياتها طويلاً وتسلم باليأس منه.. لكنها لدهشتها لا تحس تجاهه بأى كراهية له بعد غدره بها. وبعد شهور من زواجه تقبل الزواج من موظف البنك الشاب الذى يلاحقها بإعجابه وحبه بلا يأس وتكيف مع حياتها الجديدة.. وترغب بإخلاص فى أن تحيا مع زوجها حياة هادئة سعيدة.. بل وتشعر بالامتنان لهذا الشاب الذى ظل سنوات يرغب فيها بصدق ويرفض أن يتنازل عن أمله فيها.. وتساعده على التقدم فى عمله.. وتبتهج لكل نجاح يحققه فى حياته وتخلص له كزوجة.. لكنها رغم ذلك تهتم اهتماماً غامضاً بكل ما يصل إليها من أخبار الطبيب الشاب الذى كان زميلاً لها بالمدرسة، وتسعد فى باطنها بكل ما يحققه من نجاح.

ومضت حياتها مع زوجها هادئة فاترة، لا يقطع فتورها إلا ما يصل إليها أحياناً عن طريق صديقات المدرسة فى الزمن السعيد من أنباء عن فتى القلب القديم.. كتقدمه فى عمله بمساندة أستاذه وصهره.. وكتعاسته مع زوجته المدللة العصبية التى يحرص على استمرار الحياة معها رعاية لابنه الوحيد ولأستاذه الذى قدم له الكثير.

وبلغ بها الاهتمام قمته حين عرفت أن زوجته قد هجرته بعد 18 عاماً من الزواج، وأن ابنه قد اختار أن يقيم معها وتألمت له على البعد.. وقالت لنفسها إنه لا يستحق هذا الشقاء.. و"حكمت" بغير



دليل سوى قلبها بأن زوجته هي "المخطئة" واستراحت إلى هذا "الحكم العادل" وتمنت له حياة أسعد في أيامه القادمة.

ومات زوجها بعد عشرين عامًا من زواجهما ولم تكن قد أنجبت منه فبكته طويلًا وتألّت لفراقه.. وذكرت له دائمًا عشرته الطيبة الهادئة ومحاولاته المخلصة لإسعادها. واعتزلت الحياة بعد رحيله عدة شهور. وبعد عام من وفاته ثقلت عليها الوحدة والفراغ في سكنها الواسع فعادت إلى وظيفتها القديمة، وارتبطت بحكم تشابه الظروف مع أرملة ومطلقة من صديقات المدرسة القديمات تعانيان مثلها من الوحدة وأصبحن يلتقيان كل يوم على الغداء ببيت إحداهن.

وفي إحدى هذه الجلسات قرأت خبرًا صغيرًا عن فتى القلب القديم يقول إنه قد عُيّن رئيسًا لمركز طبي حديث.. فأثار الخبر حديث الذكريات وفوجئت بإحداهما تقول لها: لماذا لا تكتبين إليه مهنة فتجددين صلتك به؟ وتعجبت للفكرة في البداية.. لكنها وجدتها تسيطر عليها في الأيام التالية وتداعبها بأمل غريب!

وكتبت إليه رسالة بدأتها بعبارة: هل لا تزال تتذكرني؟.. ثم هنأته بما حقق من نجاح وروت له باختصار ما شهدته حياته وذكرت له عنوانها ورقم تليفونها.



وتعلقت بالأمل في أن يصلها منه خطاب يحرك ملل حياتها فمضت الأيام وصندوق بريدها فارغ إلا من هواء العدم.

وتناولت القرص المهدئ الذي تتناوله كل مساء لتستطيع النوم ودخلت في فراشها فرن جرس التليفون.. وتهيأت لترد على إحدى صديقاتها فجاءها صوت غريب يناديه باسمها القديم الذي لم يعد أحد يتذكره ويقول لها: هل لا تزالين أنت تتذكرينني؟

وباتت ليلتها سعيدة تحسُّ بأن حياتها الخاوية قد اكتسبت ثراء وجدانًا جديدًا.

وتكررت الاتصالات بينهما من حين لآخر.. وفي كل مرة تطلب منه أن يحكى لها ما شهدته حياته من أحداث منذ غادر المدينة الصغيرة.. وروى لها كل شيء عن حياته، واعترف لها بأنه يعيش حياة أعزب منطلق منذ انفصاله عن زوجته وأنه قد عرف أكثر من امرأة لكنه لم يحب إحداهن حبًا حقيقيًا.

وعاشت معه في الخيال كل تفاصيل حياته اليومية.. وأصبحت تنهض من نومها "فتعرف" بقلبها أنه الآن في شقته الفاخرة الواسعة يتناول إفطاره المفضل من الجبن الأبيض والخبز المحمص والقهوة استعدادًا للتوجه إلى الكلية ليحاضر فيها طلبته.. وفي الظهر "تعرف" أنه الآن في عيادته بالمركز الطبي يستقبل





مرضاه.. ويقطع وقت العمل بتناول كوب كبير من الزبادى المضروب بالخلاط، وفي المساء "تعرف" أنه الآن فى ناديه مع أصدقائه وزملائه.. وربما "صديقاته"!!.

وأصبح الطبيب الناجح حديث جلسة الظهر الدائم للصديقات الثلاث وفى إحدى الجلسات تساءلت حائرة:

هل يكمن الحب فى إحدى زوايا القلب ويتجمد بثلوج اليأس ومر السنين حتى نظنه قد مات فإذا مسته حرارة الاتصال انبعث حياً وعملاقاً من جديد؟

وتبادلت الصديقتان نظرات الإشفاق.. ثم تساءلت إحداها يحذر: لماذا لا تقترحين عليه أن يزور مدينته القديمة لكى تلتقيا للمرة الأولى بعد 28 عامًا؟.

وفى المساء جاءها صوته فتلعثمت وهى تقول له: ألم تفكر فى زيارة مدينتك القديمة.. لترأها بعد كل هذه الغيبة الطويلة.. وترى "أصدقاءك" القدامى فيها؟.

وأجابها بأنه يتمنى ذلك لكن مشاغله تحول دونه.  
ثم تساءل بخبث:

إذا كانت ظروفى تمنعنى فلماذا لا يفكر هؤلاء "الأصدقاء" فى زيارة العاصمة وسوف أدعوهم للإقامة خلال الزيارة فى فندق جميل؟



وسعدت بالدعوة كثيرا.. وسُغت خلال الأيام التالية مع صديقتها باختيار ما سوف ترتديه يوم السفر حين يراها للمرة الأولى بعد هذه السنين، وتأملت وجهها الذي ترك الزمن آثاره عليه، وحاولت أن تطمئن نفسها بأنه لا بد يتوقع أن يرى امرأة تقترب من الخمسين وأن الزمن كما سحب آثاره عليها فقد سحبها أيضًا عليه.

وركبت القطار وهي سعيدة ومبتهجة.. وقلقة.. ونزلت في محطة العاصمة وسارت بين زحام الركاب إلى حيث طلب منها الانتظار، فرأته عن بُعد قبل أن يراها وعرفته من الوهلة الأولى، لكنها فوجئت بأنه لا يزال يحتفظ بوسامته القديمة بل قالت لنفسها إنه أكثر وسامة من أيام المدرسة وأكثر جاذبية!

وفكرت قليلاً ثم حزمت أمرها وقررت أن ترجع إلى رصيف المحطة لتركب القطار العائد إلى بلدها، قبل أن يراها ويفاجأ بامرأة متوسطة العمر لا علاقة لها بفتاة الأحلام السابقة.. واستدارت لتتجه إلى الرصيف فأحست بيد تربت على كتفها. والتفت لتراه يحدق فيها باهتمام ولهفة.. وصافحته مخرجة فصافحها وهو يقول لها: إنك أكثر جمالاً.. وشباباً مما توقعت.. لكن إلى أين كنت عائدة! واستردت بعض طمأنينتها وركبت إلى جواره سيارته وهي في قمة الابتهاج، وأودعا حقيبتها في الفندق ثم اصطحبها إلى النادي، وأمضت اليوم كله معه إلى أن أعادها إلى فندقها في المساء.

وانتهت أيام الزيارة كالحلم وعادت إلى مدينتها وهي سكرى  
بالسعادة والابتهاج، وأصبح اتصاله بها كل ليلة هو الحيط الوحيد  
الذي يربطها بالحياة، وسألها بعد شهور للمرة الأولى هل لا تزالين  
تحييننى؟ فأجابته بدموع غزيرة، وأكدت له أنها لم "تكف" عن  
حبه يوماً واحداً منذ افترقا.

وبعد أسابيع سألتها:

ما رأيك في أن نقضى ما بقى لنا من عمر في "مكان واحد"..  
وبكت بحرارة كفتاة في العشرين تسمع طلب الزواج للمرة الأولى من  
فتاها.

وأعلن الطبيب الكبير لأصدقائه أنه سوف يصحح خطأ قديماً  
ويتزوج من الفتاة التي أحبها خلال صباه وشجعه الجميع على  
الفكرة.

وأعلنت هي أيضاً الخبر لصديقيتها فابتهجتا له.. لكنها فوجئت  
بعد أيام بسيدة غريبة تطرق عليها باب مسكنها وتستأذن في  
الدخول، ورحبت بها فقدمت الأخرى لها نفسها بأنها "صديقة"  
الطبيب الكبير منذ 5 سنوات، وأنها تريد أن تتحدث إليها بروح  
الصداقة عن تقلباته العاطفية ونزواته الكثيرة وكيف خانها خلال  
ارتباطها به عدة مرات، فكانت تصفح عنه في كل مرة لأنها "سيدة





مجتمع" متفتحة تنظر للحياة نظرة واقعية وترضى بأن يعود إليها  
وينتهي الأمر ثم سألتها:

إنك عاطفية.. وشديدة الحساسية كما علمت ولا خبرة لك  
بالرجال مثلي، فهل أنت واثقة من تحملك لهذه الآلام إذا ارتبطت به؟  
واهتزت الأرملة الوحيدة لما سمعت، لكنها حاولت أن تتمالك  
نفسها وشكرت السيدة المجهولة على "نصيحتها".

وجاءها صوته في المساء فسأله وهي تكتم مشاعرها:

هل صحيح أنك ضعيف أمام النساء وسوف تهجرني وراء أول  
امرأة تلتقي بها بعد الزواج؟.

وأدرك بفراسته ما حدث فأكد لها أن الرجل حين يوفق إلى الالتقاء  
بحب العمر الحقيقي فإنه لا يخون ولا يهجر.

واستراح قلبها قليلاً.. لكن الأخرى لم ترحمها.. فهي تتصل  
بها تليفونياً كل يوم وتبثها بطريقة ناعمة سمومها وشكوكها.. وكلما  
اقترب موعد سفرها إلى العاصمة لتتزوج شريكها ضاعفت الأخرى  
من جرعات السموم، حتى كادت تنهار وتخور قواها وتعطل عن  
الارتباط بفتاها القديم، وأحست الصديقتان بمعاناة صاحبتهم  
فاتصلت إحداهما بالمرأة الغازية وطالبتها بالابتعاد عن حياة



صديقتها فأجابتها بتصميم: إننى أدافع عن حياتى فأنا مطلقة فى الأربعين وكنت أستعد للزواج منه وأنا أناسبه أكثر من صديقتك لأنى سيدة مجتمع وذهنى متفتح وتفكيرى واقعى، وأستطيع أن أتقبل نزوات زوجى بغير أن أطلب الطلاق وصديقتك عاطفية وحساسة وسوف تنهار نفسياً وعصبياً إذا واجهت خيانة زوجها المتوقعة فى أى وقت، فلماذا لا تقنعينها بالانسحاب من هذا الطريق الشائك؟. وتمزقت الأرملة الشابة بين تطلعها القديم للسعادة.. وإشفاقها على نفسها من أن تتعرض لغدر جديد فى سن لم تعد تسمح لها باحتمال الغدر والنزوات. وقررت تأجيل سفرها بضعة أيام احتجبت خلالها فى البيت لا تغادره ولا تكف عن التفكير فى أمرها.

وبعد ليلة طويلة أمضتها معذبة بالسهاد والتفكير نهضت من فراشها فجأة فى الفجر وأيقظت غريمتها من نومها وقالت لها فى التليفون: سأ تزوج الرجل الوحيد فى العالم الذى كان ينبغى أن أتزوجه وأنا فتاة صغيرة، ثم أعادته لى الأقدار بعد 28 سنة لأستأنف معه قصة الحب الوحيدة فى حياتى.. فكفى عن محاولتك لإفسادها. فهو ليس فرصتك الأخيرة كما تزعمين، فأنت فى الأربعين وأنا أقرب من الخمسين وأنت جميلة وجذابة وتجيدين فن الاقتراب من الرجال وسوف تحصلين بسهولة على غيره وربما أفضل منه.. لكنى كما ترين سيدة من الأقاليم وليس لى فنك ولا خبرتك وهو حب حياتى الذى



ضاع منى 28 عامًا ثم استردده.. لهذا فهو فرصتى الوحيدة للسعادة..  
وتعويض الآلام.. وسوف أتزوجه.. حتى ولو عانيت معه.. ثم  
وضعت الساعة.. ونهضت بحماس وابتهاج تعد حقائبها وتترنم  
بكلمات أغنية عاطفية قديمة.. وأسرعت إلى المحطة لتلحق بأول  
قطار.. وبآخر فرصة للسعادة.. وراحة القلب..





## كتب للمؤلف

- |                       |                   |                     |
|-----------------------|-------------------|---------------------|
| 1- أصدقاء على الورق   | قصص إنسانية       | الطبعة الثانية 1998 |
| 2- يوميات طالب بعثة   | أدب رحلات         | الطبعة الثالثة 2004 |
| 3- هتاف المعذبين      | قصص إنسانية       | الطبعة الثانية 1998 |
| 4- صديقي لا تأكل نفسك | مقالات وصور أدبية | الطبعة السادسة 2001 |
| 5- نهر الحياة         | قصص إنسانية       | الطبعة الرابعة 2001 |
| 6- العصافير الخرساء   | قصص إنسانية       | الطبعة الرابعة 2001 |
| 7- صديقي ما أعظمك     | مقالات وصور أدبية | الطبعة الرابعة 2001 |
| 8- افتح قلبك          | مقالات وصور أدبية | الطبعة الرابعة 2001 |
| 9- اندهش يا صديقي     | مقالات وصور أدبية | الطبعة الرابعة 2001 |
| 10- أزواج وزوجات      | قصص إنسانية       | الطبعة الثالثة 2001 |
| 11- أرجوك لا تفهمني   | قصص إنسانية       | الطبعة الثانية 2001 |
| 12- رسائل محترقة      | قصص إنسانية       | الطبعة الثانية 2000 |
| 13- أماكن في القلب    | قصص إنسانية       | الطبعة الثانية 2000 |



- |                          |                   |                     |
|--------------------------|-------------------|---------------------|
| 14- لا تنسنى             | قصص رومانسية      | الطبعة الثالثة 2000 |
| 15- نهر الدموع           | قصص إنسانية       | الطبعة الثالثة 2000 |
| 16- أقنعة الحب السبعة    | قصص إنسانية       | الطبعة الرابعة 2000 |
| 17- مكتوب على الجبين     | قصص إنسانية       | الطبعة الثانية 2000 |
| 18- أوراق الليل          | قصص إنسانية       | الطبعة الثانية 2000 |
| 19- طائر الأحزان         | قصص إنسانية       | الطبعة الثانية 2000 |
| 20- أعط الصباح فرصة      | مقالات وصور أدبية | الطبعة الثانية 2000 |
| 21- الحب فوق البلاط      | قصص قصيرة         | الطبعة الثانية 2000 |
| 22- سائح في دنيا الله    | أدب رحلات         | الطبعة الرابعة 2004 |
| 23- قالت الأيام          | قصص إنسانية       | الطبعة الثانية 2001 |
| 24- صور من حياتهم        | مقالات وصور أدبية | الطبعة الثانية 1997 |
| 25- أهلاً.. مع السلامة   | مقالات وصور أدبية | الطبعة الثانية 2001 |
| 26- قدمت أعذارى          | خواطر وتأملات     | الطبعة الثانية 2001 |
| 27- أيام السعادة والشقاء | قصص إنسانية       | الطبعة الأولى 1999  |
| 28- حصاد الصبر           | قصص إنسانية       | الطبعة الأولى 2001  |
| 29- صوت من السماء        | قصص إنسانية       | الطبعة الأولى 2001  |



**\* كتب للمؤلف من إصدارات "الدار المصرية اللبنانية"**

- |                               |                   |                     |
|-------------------------------|-------------------|---------------------|
| 30- العيون الحمراء            | قصص إنسانية       | الطبعة السادسة 2003 |
| 31- وقت للسعادة<br>وقت للبكاء | مقالات وصور أدبية | الطبعة السادسة 2003 |
| 32- شركاء في الحياة           | قصص إنسانية       | الطبعة الرابعة 2002 |
| 33- خاتم في إصبع القلب        | صور أدبية         | الطبعة الرابعة 2001 |
| 34- وحدي مع الآخرين           | مقالات            | الطبعة الرابعة 2001 |
| 35- ساعات من العمر            | مقالات وصور أدبية | الطبعة الثالثة 2001 |
| 36- عاشوا في خيالي            | مقالات وصور أدبية | الطبعة الثانية 2001 |
| 37- ترائيم الحب والعذاب       | مقالات وصور أدبية | الطبعة الرابعة 2003 |
| 38- الثمرة المرة              | قصص إنسانية       | الطبعة الرابعة 2003 |
| 39- دموع القلب                | قصص إنسانية       | الطبعة الرابعة 2003 |
| 40- أرجوك أعطني عمرك          | مقالات وصور أدبية | الطبعة الثالثة 2002 |
| 41- من المفكرة الزرقاء        | صور ومقالات أدبية | الطبعة الثانية 2001 |





- |                         |                   |                     |
|-------------------------|-------------------|---------------------|
| 42- الأرض المحترقة      | قصص إنسانية       | الطبعة الثانية 2002 |
| 43- سلامتك من الآه      | مقالات وصور أدبية | الطبعة الثانية 2003 |
| 44- هو وهى والآخرين     | قصص إنسانية       | الطبعة الثانية 2003 |
| 45- حكايات شارعنا       | صور ومقالات أدبية | الطبعة الثانية 2003 |
| 46- قالت الأيام         | قصص إنسانية       | الطبعة الثانية 2003 |
| 47- الرسم فوق النجوم    | قصص إنسانية       | الطبعة الثانية 2003 |
| 48- تحية المساء         | قصص إنسانية       | الطبعة الثانية 2003 |
| 49- الزهرة المفقودة     | قصص إنسانية       | الطبعة الأولى 2004  |
| 50- يوميات طالب بعثة    | مقالات وصور أدبية | الطبعة الأولى 2004  |
| 51- سائح في دنيا الله   | مقالات وصور أدبية | الطبعة الأولى 2004  |
| 52- أرض الأحزان         | قصص إنسانية       | الطبعة الأولى 2006  |
| 53- نافذة على الجحيم    | قصص إنسانية       | الطبعة الأولى 2006  |
| 54- بعد مغيب القمر      | قصص إنسانية       | الطبعة الأولى 2006  |
| 55- فتاة من قاع المدينة | قصص إنسانية       | الطبعة الأولى 2006  |



المحتويات

- 1- فنجان للذكرى 9
- 2- أجازة عارضة 17
- 3- دموع الصباح 29
- 4- أمسية سعيدة 41
- 5- الجانب الآخر 51
- 6- ساعات الصباح 61
- 7- أوراق لا قيمة لها 79
- 8- الرجل الخطير 91
- 9- مقعد على الشاطئ 101
- 10- حديث في الليل 113
- 11- واسطة خير 125
12. سجن الليل 137
- 13- فتاة عملية 149
- 14- لص القلوب 159
- 15- الفرصة الأخيرة 169

